# شَارِعُ السَّبْخَة

رائد قاسم

# شَارِعُ السَّبْخَة

رواية خيالية

Qindeel | قنديل

# AL - SABKHA ROAD

Raid Qasim

(Novel)

# شَـارِعُ السَّبْخَة

## رواية خيالية

## رائد قاسم

© 2018 Qindeel printing, publishing & distrubtion

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو نقله على أي نحو، و بأي طريقة، سواء أكانت إلكترونية أم ميكانيكية أم بالتصوير أم بالتسجيل أم خلاف ذلك، إلا بموافقة الناشر على ذلك كتابة مقدماً.

الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

موافقة « **المجلس الوطني للإعلام**» في دولة الإمارات العربية المتحدة
رقم: MC-02-01-9021407 تاريخ 2018/7/26

**ISBN: 978 - 9948 - 24 - 936 - 8**

قـنديل | Qindeel

**للطبـاعـة والنـشر والتـوزيـع**

Printing, publishing & Distribution

ص. ب: 47417 شـــارع الشـيخ زايـــد

دبي – دولة الإمارات العربية المتحدة

البريـد الإلكـتروني: info@qindeel.ae

الموقع الإلكتروني: www.qindeel.ae

**© جميع الحقوق محفوظة للناشر** 2018

**الطبعة الأولى:** آب / أغسطس 2018 م – 1439 هـ

# إهداء

نموت كي يحيا الوطن.

يحيا لمن؟

نحن الوطن.

إن لم يكن بنا كريماً آمناً،

ولم يكن محترماً، ولم يكن حراً،

فلا عشنا، ولا عاش الوطن.

**أحمد مطر**

# إهداء

إلى كل شهيد من أجل وطنه.

في كل مكان،

وفي كل زمان.

أهدي هذه الصفحات.

**رائد قاسم**

## الحلقة الأولى

# إجازة الخريف

يتأمل منظر الغيوم من النافذة، يتطلع إلى السماء الزرقاء والسحب المتناثرة فيها، إلا أنه يغفو. يشاهد نفسه وسط الحي بصحبة عائلته، ثم يجد نفسه وسط العمارات الزجاجية، ثم يرى نفسه طائراً بين ناطحات السحاب. ينزل بسرعة إلى الأرض، فيجد نفسه في حديقة يسمع موسيقى جميلة. وبينما هو كذلك؛ إذ بالورد والأزهار تنمو بسرعة هائلة، وتتحول إلى أشجار عملاقة، سرعان ما تناهز ناطحات السحاب في حجمها وضخامتها.

يفتح عينيه ليشاهد مضيفة الطيران، والابتسامة تغمر وجهها. آسفة إن كنت أيقظتك، قريباً سنصل إلى دبي أرجو أن تبقى في مقعدك.

يتطلع في المسافرين من حوله، فيرى الهدوء جاثماً على الجميع، من بينهم صديقه فاضل الذي كان غاطّاً في نومٍ عميق.

ما تلبث الطائرة أن تدخل أجواء الإمارات في طريقها إلى دبي، وسرعان ما تكون في سماء المدينة. ينظر مراد إلى مدينة دبي من

أعلى، ويشاهد برج خليفة الذي يجاور السحاب، ويبهر كل من يزور المدينة.

قائد الطائرة يعلن قرب النزول في مطار دبي الدولي، ويطلب من المسافرين ربط الأحزمة والبقاء في مقاعدهم.. يستيقظ فاضل من نومه.

ـ (بتثاؤب) لا بدّ أننا وصلنا إلى المطار.

ـ يبدو أنك شربت منوماً كي لا تشعر بطول مدة الرحلة.

ـ أبداً، ولكني لم أنم جيداً قبل السفر، عموماً إنها مجرد اثنتي عشرة ساعة فقط.

ـ نصف يوم نسير بها من غرب الأرض إلى شرقها، يا لهذا الإنسان العبقري الذي تمكَّن من تحقيق ما كان مستحيلاً قبل أقل من مائة عام!

ـ عزيزي اِنسَ للحظة واحدة أنك تدرس الفيزياء.

ـ لا يمكنني ذلك؛ فالفيزياء تدخل في كل شيء في حياتنا.

يعود قائد الطائرة لحثّ الركاب على التزام المقاعد وربط الأحزمة.

لا تلبث الطائرة أن تهبط في مطار دبي الدولي، وما إن تتوقف تماماً حتى يبدأ المسافرون بالخروج منها، والتوجه نحو صالة الدخول. ينهي مراد وفاضل إجراءات الدخول بسرعة. يحملان أمتعتهما ويتجهان إلى خارج المطار.

يضع مراد أمتعته على الأرض، ويقف لتنفس الهواء بعمق.

ـ ما أروع هذا الهواء، إنه عليل حقاً!

ـ فعلاً، وخاصة عندما يكون في الوطن.

ـ ألم أكن على حق عندما قلت لك إنه يجب أن نأخذ إجازة في فصل الخريف؟

ـ حقاً بلادنا في فصل الخريف رائعة، والإجازة في هذه الفترة من العام رائعة حقاً.

ـ أتذكر عندما عدنا العام الماضي في فصل الصيف؟

ـ وكيف أنسى الجو الحار والرطوبة الخانقة؟

ـ لم أعد إلى مقاعد الجامعة إلا ورجلي متشققة من كثرة الالتهابات.

ـ هههههه، لست وحدك، معظم الذين عادوا في الصيف لم تتركهم الرطوبة في حال سبيلهم!

يأتي إليهما أحد أشقاء (فاضل)... ينقل مراداً إلى منزله حيث يستقبله والده ووالدته وبقية أشقائه بمشاعر جياشة، وأحضان دافئة على عادتهم. يجالسهم حتى موعد طعام العشاء، الذي يتناوله مراد بشهية، ثم يستحم وينام نوماً هادئاً على فراشه، الذي تركه أكثر من عام من أجل الدراسة في الولايات المتحدة.

* * *

يستيقظ في الصباح الباكر. يرتشف كوباً من الشاي بالحليب الذي تعده والدته بتركيبة متميزة. يشربه مع تناول قطع الخبز الأبيض الطازج كعادته.

ما إن ينتهي من وجبة فطوره حتى يتهيأ للخروج.

ـ إلى أين يا بني؟ لا تزال متعباً.

ـ على العكس، إن حليبك الممزوج بالشاي مع قطع الخبز الأبيض منحني طاقة كاملة.

ـ وإلى أين ستذهب؟

ـ سأتنزه قليلاً.

يمتطي دراجته الهوائية، ويتجول في أنحاء الحي.

ـ لا أبالغ إن قلت: إن هذا الحي لا يقل جودة عن الحي الذي أقطنه في أمريكا؛ بل لا أبالغ إن قلت: إن الفجوة في مدن الإمارات، والعديد من المدن التي زرتها في الولايات المتحدة بدأت تضيق فعلاً، فالبلد في تقدم مستمر.

يقضي عدة ساعات في التجوال في الحي والأحياء المجاورة والشوارع المحيطة بها، ويتحدث مع بعض المعارف والأصحاب. يعود إلى منزله لينام نومة العصر المعتادة. في الليل يخرج للتنزه قليلاً مرة أخرى.

ـ مدنُ بلادنا في الليل تنتعش أكثر من النهار، بينما في الولايات المتحدة تسكن الكثير من المدن ويعمها الهدوء الرتيب، أظن أن طبيعة الطقس لها دخل في هذا، فبلادنا حارة معظم فترات السنة، بينما الولايات المتحدة وكندا، تغلب عليها الأجواء الباردة معظم أشهر العام.

إلا أن بلدي يظل الأفضل بالنسبة إلي، لقد تمكنا بالرغم من كوننا بلداً نامياً ومحافظاً من التعايش مع المجتمعات الأخرى، فأصبحنا نمارس نمطنا الاجتماعي المحافظ إلى جانب أنماط أخرى متناقضة، إننا نتعايش معها بانسيابية، وهذه نقطة تحسب

لنا، هؤلاء الناس المغايرون لنا في الكثير من الأعراف، والذين يعيشون بيننا بكل حرية مصدر فخر وإلهام لنا، لا شك عندي أن بلادنا تسير في طريقها الصحيح؛ فالتسامح هو أساس أي حضارة بشرية واعدة.

قبل منتصف الليل يعود إلى فراشه. يمسك بألبوم الصور المخزّن على الجهاز اللوحي، ليستعيد ذكريات حياته منذ طفولته حتى التحاقه بالجامعة، ثم يداهمه النوم فينام سريعاً.

يشاهد نفسه مع فاضل وسط المياه. يشاهدان اليابسة بعيدة عنهما. يحاول الذهاب إليها إلا أنه لا يستطيع. يتركه فاضل ويمضي إليها. يصل فاضل إلى اليابسة بينما يظل مراد وحيداً وسط المياه. يستيقظ من نومه قائلاً:

ـ يا له من حلم غريب! هل هي رؤية صادقة لما سيحدث لي في المستقبل القريب، أم مجرد أضغاث أحلام؟

سرعان ما ينام مرة أخرى. يستيقظ في الوقت الذي كانت والدته تجهّز فيه طعام الفطور. يشرب الحليب بالشاي، ويتناول فطيرة البيض بالخبز الأبيض على عجل. ينتعش بسرعة، ويتصل بصديقه فاضل، ويتواعدان أن يلتقيا على كورنيش الخور.

يستأذن والدته بالذهاب.

ـ لم تفقد صاحبك سوى يومين يا ولدي، ابقَ اليومَ هنا أيضاً.

ـ الأيام قادمة يا أمي، سيكون هناك وقت لِلقاء كلِّ من لم ألتقِ بهم.

تُوصيه والدته بشراء بعض الحاجات. يصعد الحافلة التي توصله إلى كورنيش الخور.

ما إن يصل إلى الكورنيش، حتى يشاهد فاضلاً جالساً بانتظاره في بوفيه الخور.

ـ تأخرت يا مراد، لا بد أنك لم تأتِ بسيارتك الخاصة.

ـ لقد تعودت ألا أستخدمها إلا للمشاوير العاجلة، أو في الصيف الحارق، حيث يصعب السير مشياً على الأقدام.

يشرب كوب حليب مرة أخرى، ويتأمل الناس من حوله.

ـ أتصدق يا فاضل أنه في فصل الصيف الحارق لن تجد فرقاً في أعداد الناس هنا؟

ـ إنه إنجاز عظيم حقاً، بل وإبداع اقتصادي فريد، فتغلُّبنا على الطقس الحار الرطب الذي تناهز حرارته الخامسة والأربعين في غمرة أشهر الصيف، يعني أننا تجاوزنا أحد معوقات التنمية.

ـ أوه نسيت بأنك تدرس الاقتصاد!

ـ لا تنسَ أن الاقتصاد أحد محركات التاريخ، بل إن البعض يعتبره المحرك الوحيد للتاريخ والحياة. أما الفيزياء فمجرد علم من العلوم الطبيعية.

ـ (بغضب مفتعَل) الفيزياء هندسة الكون بأكمله يا سيدي، وكل ما في هذا الوجود يقوم على معادلات فيزيائية غاية في الدقة.

ـ هاهاها، لا تغضب، لم أكن أقصد التقليل من شأنها.

يبدآن بالتسوق والتنزه في شارع السبخة وسوق ديرة...

ـ أخيراً شارع السبخة.

ـ نعم الشارع الذي تعشقه يا مراد.

يتأمل مراد السائرين في مختلف الاتجاهات، ينظر إليهم بانبهار وإعجاب.

يدخل بعض المتاجر، ويتحدث مع المتسوقين من مختلف الجنسيات بنشوة وسعادة غامرة.

يمر الوقت سريعاً. يمر عصراً على سوق نايف، ويشتري الحاجات التي أوصته والدته بشرائها. تغرب الشمس سريعاً. يعودان إلى شارع السبخة الذي يعج بالمتسوقين. يجلسان في إحدى الاستراحات لتناول وجبة خفيفة.

ـ هل شبعت من شارعك المفضل يا مراد؟

ينظر له بابتسامة.

ـ هذا الشارع ذكرياتي معه تتجدد باستمرار، منذ طفولتي يا عزيزي وأنا أعشق الشوارع المزدحمة والأسواق العامرة، وقد وجدت ضالّتي في سوق ديرة وشارعه النابض بالحياة شارع السبخة.

ـ حدثْني عن بعض ذكرياتك معه يا عزيزي!

ـ إنها ذكريات مفعمة بالجمال، ولن أنساها أبداً ما حييت، بل حتى بعد موتي!

ـ عدت للتحدث كفيزيائي.

ـ هاهاها، حسناً، سأقص عليك بعضها، رغم أني متأكد أني أخبرتك بها سابقاً. منها عندما كنت في الثامنة من عمري رأيت بائعاً متجولاً يبيع الألعاب، فذهبت وراءه فَتُهْت.

ـ أول مرة أسمعها منك، صدقني!

ـ (بابتسامة) لقد تهْتُ عدة ساعات، لكن الغريب أنّ والدتي أصرّت على أن تجدني بنفسها من دون الاستعانة بالشرطة ، وقد تمكنت من ذلك، والظريف أنها بعد أن حضنتني واطمأنت عني، بدأت بضربي ضرباً مبرحاً!

ـ هاهاها، إنها قصة مضحكة حقاً.

ـ أتذكرُ عندما كنت في المرحلة الثانوية حيث شاهدت امرأة إفريقية وهي جالسة بجانب بوابة أحد الأسواق المغلقة، ووجدت على ملامحها الحزن الشديد. اقتربت منها وكلمتها.

يستمع له فاضل باهتمام بالغ.

ـ سألتها عن سبب ارتسام الحزن على وجهها، فأجابتني بأنها فقدت حقيبتها وقد تاهت حتى عن فندقها، وأنها باتت لا تعرف ماذا تفعل.

ـ وماذ فعلتَ معها؟

ـ أبداً، أخذتها إلى مركز شرطة نايف، وهناك بلّغت عن حقيبتها، فما كان من الضابط إلا أن أحضرها لها فوراً.

ـ وكيف وجدها بهذه السرعة؟

ـ وجدها أحد المارة، فذهب إلى الشرطة وبلّغ عنها.

ـ جميل.

ـ ولكنها رغم ذلك لم تهدأ إلا بعد أن تأكدت من وجود كافة محتويات حقيبتها، أتعرف لماذا كانت حزينة؟

ـ على فقدان نقودها حتماً.

ـ كلا، ولا لأنها تائهة عن الفندق، فقد كانت تعرف بأنه قريب، وسوف تجده بسهولة.

ـ حزينة على ماذا إذاً؟

ـ لقد حملت بالخطأ الوصية الأصلية لوالدتها، وصوراً فوتوغرافية لها، إضافة إلى بعض صورها معها وهي طفلة. وفقدانها كان أشبه بالمصيبة التي حلّت بها، فقد كانت عزيزة جداً عليها.

ـ ياه! كم من الأشياء عندنا لا تساوي شيئاً! إلا أن قيمتها المعنوية كبيرة جداً.

ـ وأنت يا فاضل مررت بمثل ذلك.

ـ أظنك تقصد نجلاء.

ـ نعم.

ـ لقد خطبت نجلاء، وأنا أعرف بأنها قد تموت، فقد كان مرضها عضالاً، لم تكن مغرمة مثلك بالأسواق المفتوحة، أتذكرُ أنني أخذتها إلى هنا ثلاث أو أربع مرات، وفي كل مرة كانت تغادر سريعاً، وحتى الأسواق المغلقة لم تكن تحبها كثيراً. باختصار مرضها لم يتح لها فرصة لكي تجدّد طباعها وتحدّد خياراتها.

ـ ولكنك مررت بموقف ظريف معها.

ـ هاهاها، أما زلت تذكره ؟ إذاً سأقصّه عليك مرة أخرى، مرة أضعتها في شارع السبخة، وتحديداً عند ذلك المتجر الذي لا يزال يبيع العباءات النسائية، شاهدت فتاة في مثل هيئتها ترتدي العباءة والنقاب فجئت إليها مازحاً قائلاً:

ـ أين كنتِ؟ لمَ لمْ تنتظريني؟

ولكنها لم تُجب.

نظرت إليها بابتسامة قائلاً:

ـ أنت جميلة جداً بالنقاب، ولكني أفضّل أن تكوني أكثر اعتدالاً يا عزيزتي.

وفجأة باغتني رجل غاضب قائلاً:

ـ كيف تجرؤ على محادثة زوجتي ومغازلتها؟

ـ لم أكن أعرف ماذا أفعل، وماذا أقول له؟ لم ينقذني منه إلا نجلاء، حينما حضرت قائلة:

ـ عذراً يا أخي، خطيبي لم يكن يقصد ذلك، لقد اعتقد بأنها أنا ، انظر كم نحن متشابهتان!

نظر بعضنا إلى بعض، ثم ضحكنا جميعاً من هذا الموقف، وأصر الرجل على أن نجلس جميعاً ونشرب عصائر طبيعية على حسابه.

ـ هاهاها، يا له من موقف فكاهي من الطراز الأول!

ـ رحمها الله لو عاشت لما كنت معك الآن.

ـ يعجبني فيك أنك لا تتنهّد عندما تذكرها، وتظل محتفظاً بابتسامتك.

ـ إنه الكبت يا صاحبي، فهو مفيد في مثل هذه الحالات، ثم إنني مقتنع بما قلته: إن عالم ما بعد الموت قريب منا، إلا أن حواسنا لا ترصده.

ـ نعم، الكثير من علماء الفيزياء يعتقدون بأن الراحلين عن هذا العالم، ينتقلون للعيش في عالم آخر ذي ذبذبات سريعة جداً لا ترصدها حواسنا.

يعزفان عن الكلام. يتأمل مراد الناس من حوله بتمعن.

ـ ما بالك تنظر إلى الناس، وكأنك للمرة الاولى تشاهد كائنات بشرية؟

ـ أبداً، إلا أنني أحب في الكثير من الأوقات أن أشاهد الناس يتحدث بعضهم مع بعض، وهم يمشون ويضحكون، أعشق مشاهدتهم من دون تدخل، كأني أشاهد فيلماً سينمائياً، ولكن من دون شاشة مصطنعة، بل شاشة الحياة بكل تجلِّياتها.

فجأة تسقط قطرات من المطر.

ـ ياه إنه المطر أخيراً!

ـ لا نزال في الخريف وبيننا وبين الشتاء أكثر من شهر على الأقل.

ـ اسمع، خطرت لي فكرة رائعة.

ـ ما هي؟

ـأن نبقى هنا.

ـ نبقى!

ـنعم، سنسكن في فندق مطل على شارع السبخة، وصباح الغد نذهب في رحلة صحراوية.

ـ مراد، لا!

ـ صدّقني ستكون رحلة مميزة ورائعة.

ـ ولكن هذا يومنا الثالث فقط.

ـ لا بأس، إجازتنا تمتد لشهر، يوم واحد لن يضر.

ـ وماذا سنفعل؟

ـ سنستأجر سيارة دفع رباعي، وسننطلق في رحلة في إحدى صحاري دبي، أنا متأكد من أن الغيوم لن تغادر المنطقة قريباً.

ـ فكرة حسنة ولكن.

ـ ولكن ماذا؟ لا تتردد، هذا الطقس نادر الحدوث.

ـ مثلما تقول، إنه أفضل من خريف أمريكا قارس البرودة.

ستكون رحلة صحراوية رائعة.

يبدآن بالبحث عن فندق. يجدانه بصعوبة. يستقران فيه، ويتصلان بأسرتهما لإخبارهما بأنهما سوف يسكنان في ديرة لمدة يوم، ويعودان في الليلة القادمة.

يأخذان قسطاً من الراحة، ثم يقومان بجولة ليلية في سوق ديرة المزدحم.

ـ فاضل ما رأيك بأن نذهب إلى أحد الأسواق المغلقة؟

ـ فكرة حسنة.

... يستقلّان الحافلة للذهاب إلى أكبر سوق مغلق في منطقة ديرة.

يتجولان في السوق المكتظ بالمتسوقين. يشاهدان مكاناً فيه تجمُّع كبير فيذهبان إليه.

ـ مراد إنه عرض للمستقبل بتقنية الواقع الافتراضي ثلاثي الأبعاد.

ـ بصراحة لم أفهم.

ـ وأنا أيضاً!

يتوجهان لسؤال أحد موظفي قطع التذاكر.

مراد: ماذا يعني العرض؟

ـإنه عرض مبهر سيفوتكم إن لم تشاهداه.

فاضل: كيف؟

ـ ستدخلان إلى قاعة كبيرة، وهناك سيصور لكما المستقبل بتقنية ثلاثية الأبعاد، وستشعران كأنكما تعيشانه فيه تماماً، وسوف تشاهدان كل شيء وكأنه حقيقي.

مراد: حقاً؟

ـ نعم إنها أحدث صيحة في عالم التقنية الرقمية.

يلتفت مراد إلى فاضل سائلاً: فاضل ما رأيك؟

ـإنها تجربة فريدة لا بدّ من خوضها.

يقطعان التذاكر. ينتظران دورهما لمشاهدة العرض بشغف.

ما إن يحين دورهما حتى يسارعا إلى دخول القاعة التي تبدو فارغة من كل معالم الحياة.

ما إن تغلق البوابة ويكتمل الحضور حتى يتغير كل شيء. يشاهد الجميع طائرات تسير في مسارات جوية بانتظام سيارات تخرج من تحت الأرض. يشاهدون المدينة وقد أصبح لها دور ثانٍ! يحوي

الأحياء والطرق والعمارات العالية والأبراج وناطحات السحاب العملاقة المتراصّة والمرتبطة بعضها ببعض بجسور للمشاة والسيارات والحافلات والقطارات. يشاهدون شمساً صناعيةً وسماء زرقاء صافية.

يسير مراد وفاضل في وسط مدينة بين مئات الناس من مختلف الأعمار والألوان.

ـ شيء رهيب، بل إنه لا يُصدَّق.

ـ لا يمكنني أن أصدق أن كل هذا غير حقيقي.

يقترب فاضل من أحد الأشخاص الافتراضيين.

فاضل ماذا ستفعل؟

يبتسم ثم يُعرِض عنه.

.. يدنو منه فاضل. يضع يده على كتفه إلا أنه يخترقه.

ـ يا إلهي! إنه مجرد خيال، وإن كان يبدو لنا أنه حقيقي.

يقترب منه مراد.

ـ إنّ كل ما نشاهده الآن خيال يحاكي الواقع، ولكن معظمه سيتحول إلى حقيقة في يومٍ ما.

ـ كم أتمنى أن أعيش لذلك الوقت!

ـ لن تشعر بأن المستقبل قد أتى، وأنه أصبح واقعاً لأنه يتقدم بطريقة التآكل! فالماضي يأكله الحاضر، والحاضر يأكله المستقبل، في تداخل ذي إيقاع بطيء وسريع في آن واحد!

ـ فعلاً كلامك صحيح.

يتجولان أكثر في المدينة الافتراضية. يشاهدان أطفالاً خارجين

من المدرسة وبيد كل واحد منهم أجهزة لوحية. يشاهدان رجال مرور آليين وهم ينظّمون حركة السير، ويأخذون الأطفال إلى الحافلات.

يستمران في المشي في طريق مخصص للمشاة حتى نهاية القاعة، وهما لا يزالان يشاهدان الحياة في المستقبل في صور حية تناهز الحقيقة.

ـ كان هذا أغرب ما شاهدته في حياتي.

ـ فعلاً إنه عرض رهيب، ولكن قل لي يا مراد كيف تمكنوا من اختراع هذا العرض المثير؟

ـ الشرح يطول، ولكن الفضل يعود لعين الفراشة.

ـ الفراشة!

ـ الفراشة يا صاحبي لديها أكثر من ألف عدسة في عينيها، بينما الإنسان لديه عدسة واحدة فقط، ببساطة هذا العرض يعتمد في أساسه على تنصيب آلاف العدسات وتنسيقها بواسطة الكاميرات، بحيث يظهر لك المشهد وكأنه حقيقي تماماً، طبعاً علاوة على استخدام تقنيات العرض المذهلة التي تستخدم حالياً في البث الفضائي والألعاب وأجهزة الحاسب والهواتف الذكية والإنتاج السينمائي و.... إلخ.

ـ فهمت الآن.

ـ إنها تقنية مذهلة ستفتح أبواباً علمية عديدة، وخاصة في الطب والفلك.

ـ والفيزياء أيضاً!

ـ هاها، أكيد ، فالفيزياء هي روح العلم.

* * *

في صباح اليوم التالي كانا في مكتب تأجير السيارات لإنهاء إجراءات استئجار سيارة دفع رباعي، بينما تتجمع السحب في السماء.

فاضل: إنه يوم رائع بكل معنى الكلمة، سحب تحجب الشمس، وتضفي أجواء رائعة.

مراد: فعلاً، إنه يوم مميز.

يُنهيان الإجراءات... يقود مراد المركبة متجهاً إلى خارج دبي حيث الصحراء.

ـ أول مرة في حياتي أذهب في رحلة صحراوية في أجواء غائمة.

ـ فاضل هل شحنت هاتفك؟

ـ هاها، مراد لا تخف لن نضيع في الصحراء.

ـ هاها، لم أقصد ذلك.

يدخلان الصحراء. الهواء العليل يضرب بقوة. السحب السود تتكاثف لتضفي على الصحراء مناظر بديعة.

يقف مراد على تلّة رملية مرتفعة.

يبدآن بالتصوير.

فاضل: يا له من منظر جميل رائع، الصحراء رغم وحشتها إلا أنها تظل رائعة!

مراد: إنها كالبحر، فيها الجمال والسحر، وفي نفس الوقت الغدر والخطر.

يجلس كل واحد منهما على كرسيه متنفّساً هواء الصحراء.

يغمض كلاهما عينيه.

ـ مراد ما رأيك في أن نقضي الليلة هنا؟

ـ فكرة جميلة، ولكننا سنحتاج لمؤونة.

يفتح فاضل عينيه فيشاهد إعصاراً قادماً من بعيد.

( بخوف) يا إلهي!

مراد: (ببرود) ما بك؟ أرأيت شبحاً؟

كلا، افتح عينيك حالاً.

يفتح مراد عينيه فيشاهد الإعصار متجهاً نحوهما.

ـ يا للهول!

ـ إنه قادم إلينا.

ينتابهما الخوف.

مراد: يجب علينا المغادرة حالاً.

يدخلان السيارة.

يدير مراد المحرك إلا أنه لا يستجيب.

ـ اللعنة!

ـ يبدو أن البطارية قد فرغت.

ـ أنغادر السيارة؟

ـالأفضل هو البقاء، فالإعصار إن وصلنا ونحن في الخارج فسيقتلنا لا محالة.

تبدأ الأجواء بالتغير. الرمال تتطاير في الأرجاء بفعل الرياح العاتية.

ـ إعصار في الصحراء، ونحن هنا قريبان من المدينة.

ـ فعلاً أمر لا يصدق.

ـ انظر إلى أبراج المدينة، إنها واضحة تماماً.

ـ عندي فكرة، اتصل بالشرطة.

يحاول مراد الاتصال بالشرطة، إلا أنه لا يستطيع.

اللعنة، توصيل الشبكة صفر.

ـ لا يمكن، كيف ذلك؟

ـ حاول الاتصال بجهاز النداء الذي أعطانا إياه المكتب.

يحاول مراد الاتصال، ولكن الجهاز لا يعمل.

مركز الإعصار يقترب من السيارة. تبدأ الرياح المدمرة بمهاجمتهما.

يحتمي مراد وفاضل بالبطانيات خوفاً من تكسر الزجاج وتناثر قطعه عليهما..

ـ مراد هل أنت بخير؟

ـ أنا بخير، ولكن علينا البقاء هكذا ضماناً لسلامتنا .

إلا أن الرياح العاتية تشتد وتخلّ بتوازنهما. يستخدمان حزام السلامة في مواجهتها إلا أن السيارة تدخل مركز الإعصار.

مراد : السيارة تتحرك.

يا إلهي! لا بدّ أننا اقتربنا من وسط الإعصار.

يكشف مراد عن عينيه ثم يحاول إعادة تشغيل السيارة. يدور المحرك بعد عدة محاولات. يضغط برجله على دواسة الوقود في محاولة منه للفرار من مركز الإعصار، إلا أن السيارة ترتفع إلى أعلى ليأخذها الإعصار إلى مركزه.

يصرخ مراد وفاضل صراخاً مجلجلاً. يتحطم زجاج السيارة التي ترتج بهما بشدة. الرياح العاتية تملأ المركبة بالأتربة وقطع الزجاج الجارحة.

يزداد الضغط ليتحول إلى جحيم من الرياح المدمرة والأتربة والغبار.

تضربهما القطع الصغيرة التي تدخل وتخرج من وإلى داخل السيارة. قطع الزجاج تصيبهما بجروح طفيفة.

الأكسجين يتناقص بشدة. يصرخان بأعلى صوتيهما من شدة الآلام وهول المحنة التي يواجهانها.

تتناثر أجزاء السيارة شيئاً فشيئاً، وتسقط على الأرض، بينما يغمى على مراد وفاضل ويبتلعهما الإعصار، ويقذف بهما نحو المجهول.

## الحلقة الثانية

# على ضفاف الخور

السماء لا تزال ملبدة بالغيوم، والهواء البارد يضرب الأرجاء. يفتح فاضل عينيه، فيجد نفسه ملقى على رمال الصحراء الناعمة. يلتفت في كل الاتجاهات باحثاً عن مراد. يراه ملقىً على مسافة قصيرة منه. يتجه إليه بأقصى سرعته. يحاول إيقاظه.

ـ مراد استيقظ أرجوك.

يفتح مراد عينيه بعد عدة دقائق.

ـ لقد نجونا يا مراد، نجونا.

يعانق أحدهما الآخر.

مراد: ولكن كيف خرجنا من السيارة؟

ـ هذا ما لا أذكره.

ـ أمر غريب حقاً.

ـ كل المؤشرات تدل على أنه كان من المفترض أن نختنق داخلها.

ـ ولكن هذا لم يحدث، ولم نصب إلا بجروح طفيفة.

ـ فعلاً أمر محير حقاً، ولكن الحمد لله على سلامتنا، لقد نجونا بأعجوبة.

ـ الحمد لله، ولكن أين حطام السيارة؟

ـ فعلاً لا أثر له على الإطلاق.

ـ السيارة مؤمّنة فلا تهتم.

ـ وماذا سنفعل الآن؟

ـ الطريق السريع قريب من هنا، هيا نبحث عنه ونتوجه إلى أقرب مركز شرطة.

ـ يا إلهي! لقد فقدنا كافة أوراقنا الثبوتية وهواتفنا المتنقلة.

ـ لا يهم، سنشرح لهم كل ما حدث لنا.

ـ هل سنقول لهم إن إعصاراً داهمنا ؟ لن يصدقوا فلسنا في أمريكا يا عزيزي.

ـ ولكن هذا ما حدث لنا، أليس كذلك؟

يتطلعان في مختلف الاتجاهات باحثين عن اتجاه الطريق السريع دون جدوى.

فاضل: أمر غريب.

مراد: ما هو؟

ـ يبدو أننا بعيدان جداً عن الطريق السريع، إذ لا مؤشر على وجوده بالقرب منا، وهناك ما هو أغرب.

ـ ماذا أيضاً؟

ـ ناطحات السحاب، وفي مقدمتها برج خليفة لا نراه.

ـ فعلاً، لقد فاتني هذا الأمر، الأبراج كانت دليلاً على وجودنا في محيط المدينة، ولكننا لا نراها البتة.

ـ أتعتقدُ أن الإعصار نقلنا إلى داخل الصحراء؟

ـ وإن حدث هذا، أيعقل أننا ابتعدنا مسافة طويلة عن الساحل؟

ـ حسناً، ماذا سنفعل الآن؟

ـ أخشى أننا إن تحركنا من دون تحديد الاتجاه الصحيح، فسوف نضيع في مجاهيل الصحراء وفي هذا خطر شديد، فنحن بلا ماء ولا طعام.

ـ علاوة على خطر مهاجمتنا من قبل حيوانات الصحراء المفترسة في الليل.

ـ والجو بارد جداً، وسيكون قارساً بعد مغيب الشمس.

ـ أفضّلُ أن ننتظر هنا، لعل نجدة تأتي إلينا.

ـ أؤيدك في ذلك، وخاصة أننا سجلنا الأماكن التي سوف نذهب إليها في المكتب.

ـ ستأتي فرقة إنقاذ للبحث عنا قريباً، أنا متأكد من ذلك، علينا أن نصبر وحسْب.

ـ على الأقل فلنتحرك في دائرة قريبة من هنا، لعلنا نجد مكاناً أفضل.

يتحركان قليلاً باحثيْن عن أي نقطة يوجد فيها أحد، فلا يجدان سوى رمال الصحراء.

ـ مراد: لقد تعبت.

فاضل: وأنا أيضاً.

يجلسان على الرمال بعد أن تمكن منهما التعب والإرهاق.

ـ مراد، أتعتقد بأننا سننجو؟

يلتفت إليه مراد بوجه متفائل.

ـ لا تقلق، فنحن لسنا في أعماق الربع الخالي، ومازلنا بالقرب من المدن.

ـ فأين هي ناطحات دبي وأبراجها العالية؟

ـ فعلاً أين هي؟ أمر غريب حقاً.

ـ مراد كيف نجونا من الإعصار؟

ـ سؤال وجيه!

ـ كان من المفترض أن نكون في عداد الموتى.

ـ هذا ما كان من المفترض أن يحدث.

ـأشعر يا مراد بأنّ قوة خفية أنقذتنا.

ـ لا تبالغ، لا شك أن ثمة تفسيراً لما حدث، عندما نصل الديار سوف تفتح الشرطة تحقيقاً في الحادثة، ولربما تكون السيارة مجهزة بوسائل حماية لا نعرفها.

ـ ربما.

يستلقيان على رمال الصحراء. لا يستطيع فاضل التحمل فيقف محدِّقاً في الأفق باحثاً عن نجدة.

ـ اجلس يا فاضل لا فائدة من ذلك.

سئمت المكوث بلا حراك، سنتجمد من البرد إن ظللنا هكذا.

يمشي قليلاً ملتفتاً في مختلف الاتجاهات. فجأة يلمح رجلاً راكباً على ظهر جمل سائراً باتجاه مغاير لهما.

يهرع إلى مراد.

ـ مراد شاهدت رجلاً يمتطي جملاً.

ـ حقاً، هيا بنا نذهب إليه فوراً.

يركضان نحوه بأقصى سرعة، وهما يناديانه بأعلى صوتيهما.

ـ توقّفْ نحن في حاجة ماسة للمساعدة.

ما إن يقتربان منه حتى يسمعهما، فيتوقف من فوره، ويهرع إليهما.

ينظر أحدهما إلى الآخر في فرح وسرور.

ـ لقد نجونا، نجونا!

ـ سنعود إلى الديار.

ـ حمداً لله.

ينزل الرجل من على جمله، ويتجه نحوهما بسرعة.

ما إن يشاهدهما، حتى ترتسم على وجهه علامات الاستغراب والتعجب.

يدنو منهما.

ـ السلام عليكما.

مراد: وعليك السلام.

ـ أنتما غريبان عن هذه الديار؟

ـ كلا إنها ديارنا.

ـ وماذا تفعلان هنا؟

ـ لقد تحطمت السيارة التي كنا نقودها.

ـ (باستنكار ووجه متجهم) أظنكما بحاجة إلى المساعدة.

فاضل: نعم أرجوك أوصلنا إلى الطريق العام.

ـ (باستنكار) حسناً اصعدا معي، وعندما تبلغان غايتكما أخبراني.

ـ شكراً لك لن ننسى صنيعك أبداً.

ـ يأخذ من متاعه قربة الماء، ويناولها لهما.

ـ هاكما الماء اشربا.

ينظران إليه بتعجب، ثم ينظران إلى القربة بتعجب أكثر.

ـ ما بالكما؟ ألستما عطشانين؟

مراد: نعم بكل تأكيد.

يشرب مراد الماء من القربة، ثم يناولها لفاضل.

ـ طعم الماء مالح قليلاً.

ـ يبدو أنه ماء غير محلّى .

ـ ما بالكما؟ ألم يعجبكما طعم الماء؟

فاضل: بل هو ماء شرب، ولكنه مالح قليلاً، لم أعهد أن شركة مرطبات أو مؤسسة التحلية تضع هذه النسبة من الأملاح في مياه الشرب.

تتغير ملامح وجهه.

ـ حسناً هيّا اصعدا.

يحاولان ركوب الجمل، ولكنهما يترددان.

ـ ما بالكما ألا تعرفان كيف تركبان البعير؟

يحاولان مرة أخرى إلا أنهما يخفقان. يضطر الرجل إلى مساعدتهما على ركوبه.

ـ لأول مرة في حياتي أرى شخصين لا يعرفان ركوب الجمل.

فاضل: أنا لا أعرف ركوب الجمال ولا الخيول.

ينظر إليه باستنكار.

ولمَ؟

ـ ولماذا أركب الجمال والخيول؟ وأنا أقود السيارات وأصعد القطارات والطائرات.

يتطلع إليه بغضب، ثم يمتطي الجمل.

فاضل يهمس في أذن مراد: هل قلت له ما يغضبه؟

ـ لا أظن ذلك، ولكنه غضب من ردّك عليه.

يلتفت الرجل إليهما قائلاً: تمسكا جيداً لئلا تقعا، سنسير الآن.

مراد هامساً لفاضل: يا إلهي كم هذا مخجل؟

ـ وماذا نفعل؟ نحن لم نتعلم ركوب الجمال!

ـ يبدو أنه يجب علينا أن نتعلم في أقرب وقت.

* * *

يمضيان بصحبة رجل البادية، بينما تغيب الشمس إيذاناً بدخول ليل الخريف الطويل.

ـ قل لي يا ...

ـ اسمي سحيم.

ـ ( بتعجُّب ولكنه يتمالك نفسه) وأنا مراد وهذا صديقي فاضل.

ـ أهلاً بكما.

ـ كم يبعد الطريق المعبّد من هنا؟

ينظر إليهما بغضب، ثم يعرض عنهما.

ـ سيد سحيم ألا يمكنك .....

ـ (بإعراض ونبرة حادة ) لا أعرف.

فاضل: حسناً، كم تبلغ المسافة من هنا إلى دبي؟

يُعرض عنه ولا يجيبه.

ينتابهما القلق.

مراد هامساً لفاضل: أخشى أن يكون هذا الرجل عضواً في عصابة إجرامية أو ما شابه.

ـ يا للهول!

ـ انظر إلى اسمه، لم أعهد أحداً يتسمّى به.

ـ حسناً، أليس من الأفضل أن نفارقه؟

ـ ولكن الظلام قد داهمنا.

ـ إنني قلق جداً، أشعر أننا سنواجه خطراً داهماً.

ـ (بخوف) سأتحدث معه، لعلني أتعرف على نواياه.

يلتفت إليه مراد قائلاً: سيد سحيم، لا نريد أن نزعجك، دُلَّنا على اتجاه الطريق المعبد فقط، ونحن سنذهب إليه.

فجأة يوقف سحيم الجمل ويُنيخه على الأرض.ينزل عنه. ينظر إليه فاضل ومراد بقلق، ثم ينزلان من على ظهر الجمل أيضاً.

ينظر إليهما بوجوم، بينما يرتسم الخوف على وجهيهما..

ـ أيها الشابان، اصدُقاني القول، من أي الديار أنتما؟

يجيبه مراد: نحن من هذه الديار مثلما قلنا لك.

ـأيّة ديار تعني؟ أهل هذه البلاد، لا يرتدون مثل هذه الملابس الغريبة التي ترتدونها.

فاضل: بل لا يلبسون الملابس التي تلبسها أنت.

ـ يرد عليه بغضب قائلاً: يبدو أنكما مجنونان.

مراد: أرجوك سيد سحيم لا تقل ذلك.

ـ فما بالكما تهذيان؟

ـ نحن!

ـ ومن غيركما؟!

تسألان عن متى ستصلان إلى .. ما اسمها التي قلتما؟

ينظر أحدهما إلى الآخر في ذهول وإلى سحيم بتعجب.

يجيبه فاضل: تقصد دبي.

ـ نعم ما دبي ؟ وما الطريق ال..

ـالمعبد!

ـنعم ، ما هذه الأشياء؟

يزداد عجبهما ولا يدريان بماذا يجيبانه!

ـ اسمعا، نحن متجهون إلى قرية الصيادين وتدعى الوصل،

وهي على بعد فراسخ معدودة من هنا، وإذا وصلنا إليها سآخذكما إلى شيخ القرية وكبير الصيادين، الشيخ عجلان، وحدِّثاه بما تريدان، أكلامي واضح؟

مراد: قرية الصيادين !

ـ نعم ، وهناك ستكونان بأمان.

ـ ولكننا نريد الذهاب إلى الطريق المعبد الذي سيوصلنا إلى دبي.

ـ (بغضب وتأفف) لا أعرف ما تقصدان وعم تتحدثان عنه، أرجوكما اسكتا ودعاني أواصل طريقي بهدوء.

ـ حسناً... حسناً، لا نريد إزعاجك.

يستأنفون طريقهم مرة أخرى.

ـ مراد ما رأيك؟

ـ لا أستطيع التخمين بشيء، ولكن أظن أن هذا الرجل إما مريض، وإما مختلّ العقل ، يكفيك الملابس التي يرتديها والجمل الذي يركبه، وعدم معرفته بأي شيء.

ـ أنا خائف يا مراد، أخشى أن تكون هذه الدقائق آخر أيام حياتنا.

ـ وأنا أيضاً، ولكن ما باليد حيلة، فالصحراء تحيط بنا من كل جانب، وسوف نموت على كل حال، إما جوعاً وعطشاً، أو تفترسنا الحيوانات، أو يقتلنا هذا الرجل وعصابته إن كان كما نظن.

فجأة يسمعان أمواج البحر.

فاضل: يا إلهي اسمع .. البحر.

سحيم: لقد قاربنا الوصول إلى القرية.

يتجاوزون الكثبان المرتفعة ليطلوا على قرية صغيرة قريبة من البحر.

مراد: يا إلهي! إنها فعلاً قرية.

ـ عجيب جداً!

ـ لم أعهد قريةً قديمٌ بناؤُها بهذا الشكل.

ـ إنها تبدو وكأنها قرية تراثية أو ما شابه.

سحيم: هيا بنا فلقد تأخرنا كثيراً.

يسرعون الخطى ليبلغوا مدخل القرية.

يرتجلون عن الجمل ويبدؤون بالمشي داخل القرية بصحبة سحيم الذي أنزل جمله في مرابط الخيول والركائب.

يمشيان في أزقتها، وهما في غاية العجب.

فاضل: أين أعمدة الكهرباء؟

مراد : أين الطرق المعبدة؟

يستمع لهما سحيم بازدراء.

يسيرون حتى يصلوا إلى بيت كبير.

ـانتظرا هنا.

ـإلى أين أنت ذاهب؟

ـهذا منزل كبير القرية الشيخ عجلان.

فاضل: بِتُّ لا أفهم شيئاً.

مراد: يبدو أن في الأمر سراً غامضاً.

يأتي إليهما أحد الأشخاص:

ـ أهلاً بالضيوف الكرام، تفضلوا على الرحب والسعة.

يدخلان المجلس ويستريحان من عناء السفر، ويقدم لهما الطعام والشراب.

ـ طعام غريب.

ـ فعلاً إنه مختلف عمّا تعودنا عليه.

ثم يأتي أحد الخدم.

ـ ثيابكم جاهزة، تفضلوا بدخول الحمامات للاستحمام.

يأخذهما الخادم إلى خلف المنزل.

يدخل مراد الحمام.

يرى نفسه في غرفة صغيرة، يشاهد جرة كبيرة من الفخار مليئة بالماء، وورقَ سدْرٍ وليفاً قطنية، وجرة صغيرة.

يلمس ماء الجرة الكبيرة فيجده بارداً إلا أنه يجد بالقرب منها إناءً نحاسياً ماؤه ساخن موضوع على حفرة صغيرة فيها فحم محترق.

يا للهول! هل هذا هو حمام للاستحمام؟ إنه بدائي جداً لم أعهده من قبل!

يستحمان ويرتديان ثيابهما النظيفة.

ينظر أحدهما إلى الآخر باستغراب.

ـ هاها، انظر إلى نفسك يا فاضل، إنك ترتدي ثياباً غريبة.

ـ (بابتسامة) وأنت كذلك.

ـ مراد ألا تعتقد أننا في برنامج (الكاميرا الخفية)؟

ـ ياه! كيف فاتني ذلك، لا يوجد احتمال غير ذلك.

ـ حقاً؟

ـ هل عندك تفسير آخر؟

ـ حتى الآن لا.

يدخل عليهما الشيخ عجلان.

يسلّمان عليه، وعلى الجمع الذي معه، ثم يجلس الجميع.

ـ الحمد لله على سلامتكما.

مراد: سلمكم الله جميعاً.

ـ من أين أنتما؟

ينظر مراد وفاضل كلٌّ إلى صاحبه، ويبدو عليهما الاضطراب.

ـ ما بالكما؟

يجيبه مراد: هل يمكن أن تخلينا بنفسك يا شيخ.

ـ حسناً، لا بأس.

يخرج الجميع ليبقى الشيخ عجلان مع مراد وفاضل.

تفضلا أخبراني عن حقيقة أمركما.

مراد: نحن..

ـ هل أنتما مطاردَيْن لجُرْم ارتكبتماه؟

ـ كلّا أبداً.

ـ إذاً ماذا؟

ـ نحن من دبي.

ـ دبي!

ـ نعم يا شيخ، ونريد فقط العودة إليها.

ـ وما هي دبي؟

ينظر كلٌّ منهما إلى صاحبه بقلق وذهول.

فاضل: دبي يا شيخ....

ـ أكمل ولا تخف، أهي واحة أم قبيلة أم ماذا؟

ـ إنها مدينة كبيرة، وهي إحدى إمارات دولة الإمارات.

ـ إمارة!

ـ لا توجد إمارات أو دول هنا.

يُصدَمان من كلامه.

مراد: مستحيل!

فاضل: لا يمكن!

يقفان من هول كلامه.

ـ اجلسا رجاءً.

يجلسان وهما في غاية الخوف.

ـ استرخيا واطردا عنكما أيّ قلق. أنتما هنا بأمان تام.

يهدآن قليلاً.

ـ أخبراني الآن ما حكايتكما؟

يبادر فاضل بالإجابة قائلاً: نحن مواطنان من دولة الإمارات، ونعيش في دبي.

ينصت له الشيخ عجلان باهتمام بالغ.

ـ ثم ماذا؟

ـ كنا نتنزه في الصحراء قبل أن يهاجمنا إعصار هائل القوة دمّر سيارتنا وأفقدنا الوعي.

يصمت الشيخ عجلان، ويطرق رأسه إلى الأرض لحظات ثم يرفعه قائلاً:

ـ فأي الأمصار قريبة من مدينتكما؟

مراد: ماذا تعني؟

ـ أقصد أي مدن قريبة من مدينتكما.

أبوظبي، الشارقة، عجمان، وجميعها إمارات تشكل دولة الإمارات العربية المتحدة.

يطرق الشيخ عجلان رأسه إلى الأرض مرة أخرى.

يبادره مراد بالسؤال: ما بالك يا شيخ معرضاً عنا؟ هل قلنا لك كلاماً يغضبك؟

يرفع رأسه قائلاً: والآن ماذا تريدان؟

ـ أن نعود إلى دبي.

يدخل عليهما الخدم بالفاكهة.

ـ تفضّلا.

فاضل: عفواً يا شيخ ، إننا نتشوق لسماع ردّك، وليس لدينا رغبة في تناول الفاكهة.

يسكت الشيخ عجلان قليلاً ثم يجيبهما.

ـ كُلا أوّلاً واستريحا، ثم نكمل حديثنا.

يخرج الشيخ عجلان من المجلس، بينما يتناول مراد وفاضل الفاكهة على مضض.

ـ ماذا ترى يا مراد؟

ـ أنا لا أفهم شيئاً على الإطلاق.

ـ وأنا كذلك.

يدخل عليهما الشيخ عجلان، فيقفان له احتراماً.

ـ أتمنى أن تكونا قد استرحتما الآن.

مراد : الحمد لله.

ـ تعالا معي إذاً.

يمضي بهما إلى سطح منزله.

ـ ما رأيكما في هذا المكان؟

يجيبه مراد قائلاً: إنه رائع، هواء بارد عليل، ونجوم متلألئة، وأصوات أمواج البحر تضفي على المرء شعوراً بالسعادة.

ـ (بابتسامة) في الربيع والخريف والشتاء تكون أجواء القرية جميلة، ولكن في الصيف تداهمها الأجواء الحارة والرطبة بشدة، وكأنها تخنق الحياة فيها.

فاضل: فماذا تفعلون؟

ـ يغادر الكثير إلى بعض البراحات، والواحات والمناطق الجبلية داخل الصحراء، حيث الحرارة والرطوبة أقل وطأة.

فاضل: ألا تسافرون إلى خارج البلاد؟

ينظر الشيخ عجلان إلى فاضل بوجه متجهم ثم يقول: ادنوا مني أيها الشابان.

يدنوان منه بوجل.

ـ استمعا إليّ جيداً، هذه القرية نظيراتها على طول هذا الساحل تعدّ على أصابع اليد، كالمليح وسارقوا، وجلفار، وما عداها ليس سوى الخلاء.

فاضل: (بخوف) ماذا تقصد؟

ـ كلامي واضح، لا شيء على هذا الساحل سوى هذه القرية وقرى قليلة مثلها.

مراد: مستحيل.

ـ ( بجدّية وحدة) هذه هي الحقيقة.

ـ ودبي؟

ـ لا شيء هنا اسمه دبي أو تلك الأمصار التي ذكرتها.

ـ لا يمكن أن يكون ما تقوله حقيقة. بل هو المستحيل.

فاضل: (بذهول وخوف) لا يمكن أن يكون كلامك صحيحاً.

ـ هذه هي الحقيقة، أنتما في قرية (الوصل)، ومن حظكما أنكما وصلتما إليها، وإلا لكان مصيركما الموت جوعاً وعطشاً في الصحراء.

يشعر فاضل بالغربة والوحشة فتترقرق الدموع في عينيه، ويحاول مراد مواساته، إلا أن الحزن والغربة يرتسمان على ملامح وجهه ونبرات صوته.

يضع الشيخ عجلان يديه على كتفيهما.

ـ هَوِّنا عليكما، أنتما على وجه العموم ضيْفاي، وستبقيان هنا معزّزيْن مكرّميْن.

مراد: شكراً لك يا شيخ، لن ننسى معروفك أبداً.

ـ لا شكر على واجب يا بني، لقد جهزت لكما منزلاً تقيمان فيه، وفيه كل ما تحتاجانه.

يشكره مراد، بينما يظل فاضل صامتاً من هوْل ما سمعه.

يأمر الشيخ عجلان الخدم باصطحابهما إلى المنزل.

يجدان نفسيهما في منزل صغير مجهّز بأثاث بسيط. يعرفهما الخدم على أجزاء المنزل ثم يغادرون.

يستلقي كل منهما في غمّ شديد على سرير مصنوع من جريد النخل عليه مرتبة محشوة بالقش، عليها وسادة ولحاف محشوان بالقطن.

ـ مراد ماذا تقول في هذا الأمر؟

ـ لا يمكنني أن أصدق ما قاله.

ـ أنت خبير الفيزياء ولديك تفسير بكل تأكيد.

ينهض مراد ليتحدث باندفاع قائلاً:

ـ التفسير الوحيد أننا...

ـ أننا ماذا؟

ـ كلا، مستحيل!

ـ تكلم.

ـ دعني أفتش أوّلاً.

ـ عن ماذا؟

يتجول مراد في أنحاء المنزل، فلا يرى شيئاً.

ـ عن ماذا تفتش في هذه الساعة؟

ـ عن كاميرا أو ما يشابهها.

ـ أما زلت تظن أننا في برنامج الكاميرا الخفية.

ـ إن لم نكن كذلك فنحن في....

ـ في ماذا؟

(يدنو مراد من فاضل).

ـ قل يا مراد.

ـ (بتردد) أظن أننا نُقلنا إلى عصر آخر؟

ينظر إليه فاضل في ذهول.

ـ ماذا تقول؟

ـ هذا هو التفسير الوحيد لما نحن عليه.

ـ تقصد أننا في الزمن الماضي؟

ـ بالضبط.

ـ مستحيل، بل إن هذا هو عين المستحيل.

ـ فما تفسيرك إذاً لما نحن فيه؟

يصمت فاضل.

مراد: أين هي دبي وأبوظبي والشارقة وعجمان وغيرها؟ لا شيء سوى صحراء مطلة على ساحل البحر؟

ـ لا يمكن، لا شك أننا في الإمارات وقريبان من دبي.

ـ ولكن لا أثر لذلك أبداً.

ـ غداً سنذهب إلى الخور، لا شك أنهم يعرفونه، فإن أنكروا فهم مخادعون حقاً.

ـ حسناً، لننتظر الغد إذاً.

ـ أمّا ما تقوله، فلا يمكن أن يحدث أبداً.

ـ أتمنى ذلك.

* * *

ينامان بعمق من شدة التعب. يستيقظان على طرقات الباب.

يذهب مراد لفتح الباب فيشاهد فتاتين .

إحداهما: السلام عليكم.

ينظر إليها مراد بابتسامة.

ـ وعليكِ السلام.

ـ أتمنى ألا أكون قد أزعجتكما.

ـ كلا أبداً، تفضلا.

تدخل وبيدها وبيد صاحبتها طبقان.

ـ تفضل هذا طعام الفطور لك ولصاحبك.

يبتسم مراد في وجهها، ويأتي فاضل على عجل.

ـ تناولا الطعام، وإن أردتما التنزه في القرية فلكما ذلك، والدي سيستقبلكما مجدّداً بعد صلاة العشاء.

مراد: شكراً لكِ ولكن من أنتِ؟

ـ أنا ابنة الشيخ عجلان.

ـ (بابتسامة) شكراً جزيلاً يا .....

ـ دباة.

ـ دباة؟

ـ هذا اسمي.

تذهب عنه إلا أنه لا يزال يلاحقها بنظراته.

* * *

يجلسان لتناول طعام الفطور.

ـيا لها من فتاة بدوية جميلة!

ـ إنها جميلة حقاً.

ـ يبدو أنني سوف أرتاح كثيراً كثيراً.

فاضل: (محتدّاً) فلنتناول طعامنا ونذهب إلى الخور، ومن ثم نعود إلى ديارنا.

ـ حسناً حسناً لا تغضب!

ـ وفتاتك هذه ليست سوى ممثلة مغمورة لم نسمع عنها من قبل.

ـ وإن كانت كذلك فإن أداءها رائع ، واسمها غريب حقاً، ولكن كأني سمعت به من قبل.

ـ لا أحد مشهور أو غير مشهور اسمه (دباة).

ـ صحيح، ولكنني متأكد من أن هذا الاسم مرّ عليّ من قبل.

ـ دعك منها وهيّا نكمل طعامنا ونذهب للخور .

ـ حسناً.

* * *

يتناولان طعامهما ثم يخرجان من المنزل، ويتجولان في أنحاء القرية، ويشاهدان مجموعة من الرجال واقفين.

ـ السلام عليكم.

ـ وعليكم السلام.

ـ أنتما ضيفا القرية.

فاضل: نعم.

ـ على الرحب والسعة بماذا نستطيع خدمتكما؟

ـ نريد الذهاب إلى الخور.

ـ وصلتما أخيراً، نحن ذاهبون إلى هناك، انتظرا حتى تذهبا معنا.

يعد الرجال عدة الصيد وبعض المستلزمات الأخرى.

فاضل: أأنتم صيادون؟

أحدهم: نعم وماذا تعتقد أن نكون؟ ونحن الآن ذاهبون في رحلة صيد ستستمر عدة أيام، ولكنها قريبة من الساحل فنحن في فصل الخريف كما تعرف.

يسيرون إلى خارج القرية حيث تنتظرهم الجمال. يركبونها ويتجهون نحو الخور.

ـ انظر يا فاضل ليست سوى الصحراء.

ـ حقاً إنها كذلك!

يستمرون في المشي برهة قصيرة من الزمن حتى يصلوا إلى الخور.

يشاهدان مراكب الصيد وجمعاً من الصيادين..

مراد: أهذا هو الخور؟

أحد الصيادين: نعم إنه هو، نحن الآن على هذه الضفة، وتلك هي الضفة الأخرى.

ينظر فاضل إلى الخور بذهول.

ينزل مراد وفاضل من على ظهر الجمل، ويتجهان نحو شاطى الخور.

ـ ماذا أرى؟

ـ هل هذا هو الخور؟

ـ فأين الديرة والبر؟

ـ أين جسر المكتوم والعمارات الزجاجية والمباني الفخمة؟

ـ أين ميناء الخور؟

ـ أمر لا يصدَّق!

ـ أحقاً هذا هو خور دبي؟

ـ إنه هو بكل تأكيد، وأظن أننا في (ديرة) وذاك هو بر دبي؟

ـ لا شيء سوى الرمال.

يستلقي فاضل على الأرض من هول المفاجأة.

يضع مراد يده على كتف فاضل.

ـ فاضل علينا العودة إلى منزل الضيافة لنرتاح ونناقش الوضع بهدوء، الانفعال لن يساهم في إيجاد حل للمصيبة التي ألمّت بنا.

يفد عليهما أحد الصيادين.

ـ هل تحتاجان إلى أي مساعدة؟

مراد: نحن لا نزال متعبين وعلينا العودة إلى المنزل.

ـ سيحملكما أحد الجمال بعد قليل إلى القرية.

ـ شكراً لك.

* * *

يعودان إلى منزلهما ليرتاحا. يشربان الماء ويأكلان شيئاً من الفاكهة.

يجلسان وهما في غمّ شديد.

ـ هل هدأت الآن يا فاضل؟

ـ قليلاً، هل لديك شيئاً تقوله؟

ـ فاضل نحن في زمن آخر غير زماننا.

يقف غاضباً.

ـ مستحيل!

يصرخ مراد في وجهه قائلاً: إذا ظللت هكذا، فلن أتحدث معك.

يحاول فاضل التحلي بالهدوء.

ـ حسناً أنا آسف، تكلمْ وسوف أُنصت.

ـ فاضل ، هذا رأي قد يكون صواباً وقد يكون خطأً ، فاسمعني بدون انفعال، فأنا شريك لك في هذه المشكلة ولست صانعاً لها.

ـ حسناً أنا آسف.

ـ أنا أعتقد بأننا في عصر غير عصرنا.

ـ ولكن كيف؟

ـ لا أعرف، لا شك أن قوةً قاهرة أرجعتنا إلى الماضي.

ـ ولكن...

ـ أعرف ما تريد قوله: إن هذا يخالف كافة القواعد المنطقية والعلمية، ولكن في الفيزياء ثمة نظريات وفرضيات يؤمن أصحابها بإمكانية العودة إلى الماضي.

ـ إذا كان كلامك صحيحاً، هذا يعني أننا نعيش بين أناس أموات.

ـ القضية معقدة، هم أموات في تاريخ وماضٍ في عصرنا، ولكننا الآن في عصرهم وهم فيه أحياء يرزقون.

ـ لا يمكن أن يعيش الإنسان حياته أكثر من مرة، ولا يمكن أن تتكرر.

ـ حقاً.

ـ قد نكون نحن الأموات.

ـ ماذا تقصد؟

ـ ألا يحتمل أننا قد متنا، ونحن الآن نعيش حياة ما بعد الموت!

ـ لا يمكن لأن حياة ما بعد الموت لا تشبه الحياة الأولى.

ـ ومن قال لك ذلك؟ هذا ما عرفناه وتعلمانه فقط. وقد تكون الحقيقة مختلفة عن كل تصوراتنا.

ـ فلنتأكد من ذلك.

ـ كيف؟

ـ تعال معي.

يخرجان من المنزل. يمشيان حتى يلقيا أحد المارة، فيسأله مراد عن مقبرة القرية. يمضي معهما إلى المقبرة.

ينظر فاضل إلى المقبرة، بينما يتمعن فيها مراد بعمق.

ـ ما رأيك الآن يا فاضل؟

ـ يبدو أن كلامك صحيح، ليس بعد الموت موت.

ـ هيا بنا نعدْ للمنزل.

يعودان إلى المنزل. يستلقي فاضل بيأس، بينما يتعامل مراد مع الأمر بجديَّة.

مراد: إنّ عودتنا للماضي بهذه الطريقة تخرق كافة قواعد الفيزياء المتعارَف عليها.

فاضل: (بيأس) نحن هلكنا وانتهى أمرنا.

ـ فاضل. لا تقل ذلك، نحن مازلنا أحياء.

ـ أحياء! وهل تسمي هذه الحياة حياة؟

ـ أرجوك يا فاضل فلتكن أكثر تفاؤلاً.

ـ نحن الآن في عداد المفقودين، وغداً سنعتبَر في عداد الأموات، وسنخسر دراستنا ومستقبلنا.

ـ بربّك َماذا سنفعل هنا؟ إنها قرية صغيرة يعيش فيها قوم من أهل البحر والصيد، أيُّ مستقبل ينتظرنا فيها، وكيف سنقضي بقية عمرنا؟

ـ فاضل لا تكن متشائماً هكذا، مثلما دخلنا هذا العصر فجأة

قد نغادره فجأة أيضاً، المهم أن نصبر الآن، ونمارس حياتنا وفقاً لما هو متاح، هذا أفضل من أن نقضي أيامنا في اليأس والقنوط.

ـ وماذا تقترح؟

ـ سنعيش مثل الناس هنا ونتفاعل معهم، وكأننا من أبناء هذا العصر، أنا متأكد أن ثمة طريقةً ما للعودة إلى عصرنا، المهم ألّا نيأس وأن نواصل حياتنا بكل إيجابية، وإلا فإننا سنموت همّاً وحسرةً.

ـ حسناً، سأبذل قصارى جهدي لأغدو شخصاً عادياً.

يمضي مراد وفاضل في حياتهما في قرية (الوصل)، على أمل أن يفتح لهما القدر بوابة العبور إلى العصر الذي جاءا منه.

## الحلقة الثالثة

# العاصفة

يستيقظ في وسط الفجر. يحاول العودة للنوم إلا أنه لا يستطيع. يجلس قليلاً في فناء المنزل فيشعر بالملل والضيق. يقرر الخروج من المنزل فلا يرى سوى الظلام والوحشة والعزلة. يبكي بكاء مريراً. تتوإلى عليه ذكرياته فيزداد بكاؤه وتنهمر دموعه بشدة.

ينظر إلى السماء فيرى النجوم متلألئة. يقرر الصعود إلى سطح المنزل. الهواء البارد المنعش يريح نفسه المتعبة، ويخفف عنها آهات الفراق ولوعة الغربة.

يقترب من حافة المنزل ينظر في النجوم المتلألئة. يتجه إلى الجهة الأخرى من السطح محاولاً اتقاء هبات النسيم الباردة، إلا أنه يشاهد أبراج دبي تلوح له شاخصة بارزة يتوسطها برج خليفة.

ـ مستحيل ، أبراج دبي، وبرج خليفة في مقدمتها!

يفرح فرحاً عارماً. يدور في مختلف الاتجاهات، فيشاهد أضواء مدينة دبي في كافة الاتجاهات.

ـ إنها دبي، لا شك في ذلك ولا ريب. يا ألطاف الله!

ينزل حالاً لإيقاظ فاضل.

ـ فاضل استيقظ. استيقظ.

يستيقظ فاضل حالاً.

ـ ماذا حدث؟

ينظر إليه مراد بفرح عارم.

ـ مراد، هل أنت بخير؟

ينظر إليه بتأمل، ثم يعانقه.

ـ ( ببكاء) لقد نجونا، نجونا.

ـ ( بتلهّف) كيف؟ ما الذي حدث؟

ـ إنها دبي، لقد رأيتها، شاهدت أبراجها الزاهية وأضواءها المنيرة.

ـ أين؟

ـ تعال معي حالاً.

يمسك بيده ويتجه به إلى السطح.

ـ انظر بنفسك!

ـ في أي اتجاه؟

ـ اذهب إلى أي اتجاه تشاء.

يتجه فاضل إلى أحد الاتجاهات فلا يرى سوى القرية.

بينما ينتاب مراد الذهول.

ـ أين هي الأبراج يا عزيزي؟

ـ مستحيل.

ـ مراد هل أنت بخير؟

ـ أنا بخير، ولكني أقسم لك بأني شاهدت مدينة دبي بأم عيني، كانت واضحة تماماً، ورأيتها كما كنت أراها في أي وقت مضى.

ـ كما ترى يا صديقي لا شيء سوى هذه الصحراء وهدير مياه الخليج ورتابة هذه القرية.

ـ لقد رأيتها، لا شك في ذلك.

ـ فأين هي إذاً؟

ـ لا أعرف.

ـ على كل حال هيا بنا نعُدْ للداخل، فالهواء البارد يلسع بشدة. يعودان للداخل.

ـ فاضل ألا تصدقني؟

ـ بعد هذه الأهوال التي مررنا بها بتُّ أصدّق كل شيء.

ينام فاضل حالاً، إلا أن مراداً يتقلب في فراشه حتى يغلبه النوم.

* * *

يستيقظ مراد في الظهيرة. يتجه إلى غرفة المعيشة فيجد فاضلاً جالساً مع أحد الأشخاص. يسلم عليه، ويجلس بقربه.

ـ استيقظت أخيراً، أنا هنا منذ ساعتين، كان فاضل يريد إيقاظك ولكني قلت له أن يدعك حتى تنهض بنفسك.

ـ شكراً لك ، لقد غالبني الأرق في الليلة الماضية.

ـ لا بأس، أعرّفكم بنفسي أنا (النوخذة ربيع)، جئت أسألكم إذا كنتم ترغبون في العمل معي.

ـ أين؟

ـ في الغوص واستخراج اللؤلؤ وصيد السمك.

ـ هذا رائع، أنا وفاضل نجيد السباحة، ولكنا لا نجيد الغوص والصيد.

ـ هذا أمر سهل، سأعلمكم شريطة أن تظلوا معي سنة كاملة على الأقل.

ـ أنا موافق، فقد سئمت الحياة هكذا دون عمل ،ولكن علينا الاستئذان من الشيخ عجلان.

ثم يلتفت إلى فاضل قائلاً: ما رأيك يا صاحبي؟

ـ كلامك صحيح.

ـ اليوم هو الثلاثاء، وسيكون الشيخ عجلان في مجلسه حتى العصر.

فاضل: سنذهب إليه إذاً.

ـ اتفقنا.

يسلّم عليهما ويذهب.

يلتفت فاضل إلى مراد قائلاً: لقد وافقت على العمل بهذه السرعة يا مراد.

ـ وماذا نفعل ؟ نحن هنا منذ أكثر من أسبوعين، وقد سئمت الجلوس هكذا، ثم إنني بدأت أخجل كثيراً، فنحن نأكل ونشرب

ونتسكع من دون أن نفعل شيئاً، هذا معيب في حقنا، ولا تنسَ أن هؤلاء القوم بسطاء، ولا يمتلكون الكثير من المال.

ـ حقاً كلامك صحيح!

ـ هيا بنا نستعد للذهاب إلى مجلس الشيخ عجلان.

ـ ولكن فاتك أمرٌ مهمٌ.

ـ ما هو؟

ـ انظر إلى شكلينا!

ـ ما بهما؟

ـ منذ جئنا إلى هنا، ونحن لم نحلق ذقنينا، وشعر كل واحد منا طال كثيراً.

ـ هاهاها، كلامك صحيح ولكن ماذا نفعل؟

ـ فلنخرج باحثين عن حلّاق أو ما شابه.

يخرجان باحثين عن حلاق. يسألان المارة فيدلّانهما على منزل المزيّن.

مراد: المزين، هذا اسمه في هذا العصر إذاً.

يطرقان الباب فيخرج إليهما.

فاضل: عذراً للإزعاج. أأنت المزيّن؟

ـ نعم أنا، أهلاً بكما. تفضلا.

يدخلهما مجلسه.

ـ أنتما ضيفا الشيخ عجلان؟

فاضل: نعم نحن هما.

ـ أهلاً بكما.

مراد: أتمنى ألا نكون قد أتينا في وقت غير مناسب.

ـ أبداً، على الرحب والسعة.

ينظر إليهما بتمعن.

ـ يبدو بأنكما لم تتزيّنا منذ وصولكما القرية.

فاضل: هذا صحيح.

ـ لا تهتما للأمر، سأبدأ فوراً بإخراجكما من هذا المأزق.

نعم ولكن...

ـ أعرف، ليس لديكما مال، ضيوف الشيخ تزيينهم على حسابه.

مراد: ولكن هذا كثير.

ـ هذه أصول الضيافة عندنا.

ـ لحظة من فضلكما.

مراد (بمرح): كيف ستكون الحلاقة في هذا العصر؟

فاضل: أتمنى ألا تكون مؤلمة.

يعود إليهما المزين حاملاً سلة.

ثم يفتح الباب شابان يحملان صندوقاً خشبياً ووعاء كبيراً من الماء.

ـ عذراً للتأخير، من منكما سيتزيّن أولاً؟

ينظر أحدهما في وجه الآخر.

ـ هيا، ما بالكما؟

يتقدم فاضل.

ـ حسناً، أنا أولاً.

ـ تفضل بالجلوس إذاً.

يجلس فاضل على الكرسي الخشبي وقد بدا عليه الضيق.

ـ ماذا دهاك؟ أو لستَ مرتاحاً من جلستك؟

ـ الحقيقة أن الكرسي مؤلم قليلاً.

ـ وعلى ماذا كنت تجلس في بلدك؟ على وسادة من الحرير مثلاً؟

يبدأ المزين بعمله. يتابعه مراد بتركيز.

يخرج من السلة قطعة من الجلد مثبّتاً بها مقبض معدني، يشبع ذقن فاضل بالماء ثم يبدأ بإزالة شعر ذقنه ببطء.

يشعر فاضل بالتعب وحرقة الجلد إلا أن المزين يمضي في عمله دون اكتراث.

بعد أقل من ساعة ينتهي من حلاقة شعر ذقن فاضل، الذي يأخذ أنفاساً من شدة الإنهاك، إلا أن المزين سرعان ما يضع على رقبته قطعة نحاسية، ثم يخرج قطعة حديدية مكوّنة من جزأين متفرقين ويبدأ بحلاقة شعر رأسه.

ينتهي سريعاً ثم يخرج من السلة مادة صلبة يشبعها بالماء، ويضعها على مواضع الجروح في ذقن فاضل التي تسبّبت بها الحلاقة.

يقوم فاضل وهو في غاية الإنهاك.

ـ ما بالك تعبت وأصابك الإرهاق، إنها مجرد حلاقة.

ـ لم أعتد الحلاقة بهذه الطريقة.

ـ وكيف كنت تحلق في بلدك؟

يتدخل مراد.

ـ لا تشغل بالك، لا اختلاف يذكر.

ـ حسناً إنه دورك الآن.

يبدأ المزين بقص شعر مراد ثم حلاقة ذقنه وتهذيب شاربه.

ما إن ينتهي حتى كان مراد في حالة من الضعف والوهن.

ـ يبدو أنك تعبت أكثر من صاحبك.

ـ حقاً إنني متعب جداً.

ـ خذ قسطاً من الراحة إذاً.

ـ شكراً جزيلاً لك، نستأذنك في الانصراف.

ـ أهلاً وسهلاً بكما.

يخرجان من عنده، ويتجهان إلى المنزل ليستلقي كل منهما على فراشه.

مراد: لقد أنهكتنا هذه الحلاقة.

ـ ليس عندي شك منذ الآن أننا حقاً في عصر سابق لعصرنا، وأننا نعيش في حقبة بعيدة عن زماننا.

ـ علينا أن نعتاد هذا التحول المهول في حياتنا.

ـ يا للهول! أي مصيبة وقعنا فيها.

ـ الحمد لله، مازلنا أحياء!

ـ الحمد لله على كل حال، ولكن هذا يعني أننا إذا ما أردنا السفر لأي مكان بعيد فسنستغرق أسابيع وأشهراً في الطريق.

ـ بالتأكيد، إذ إننا سنسافر بواسطة الخيول والجمال لا السيارات والطائرات.

ـ يا للهول!!

ـ (بمرح) اعتبرْ نفسك مسافراً عبر الزمن، وستعود إلى عصرك في وقت قريب.

* * *

يستعيدان نشاطهما، ويرتديان ملابس جديدة، ويذهبان إلى مجلس الشيخ عجلان.يسلمان عليه وعلى الحضور، ويجلسان بالقرب منه.

يستأنف الشيخ عجلان حديثه مع بعض الحضور حتى نهايته، ثم يلتفت إليهما قائلاً:

ـ مرحباً بكما أيها الشابان الطيبان.

يجيبه مراد: أهلاً بك يا شيخ القرية وبالحضور الكرام.

ـ ماذا قررتما بشأن حياتكما؟

ـ سنبقى هنا.

ينظر إليهما الجميع باستغراب.

ـ (بلطف) ستبقيان هنا.

ـ نعم إن لم يكن لديكم مانع.

ـ ليس لديّ أي مانع، ولكنكما لم تخبراني من أيِّ بلد أنتما الآن؟

أم إنكما لا تزالان على قولكما السابق؟

فاضل: من حقكم أن تعرفوا دون شك.

ـ إذاً ما قلتماه لي من قبل لم يكن صحيحاً؟

فاضل: حقاً ، كنا في حالة من الخوف والاضطراب؛ لذا لم نتمكن من البوح بحقيقة أمرنا.

أحد الحضور: فمن أين أنتما؟

ـ نحن من قبيلة صغيرة تدعى (بني بلال)، وقد كنا دائماً نتعرض لهجمات من بعض قطاع الطرق، فلجأنا إلى قبيلة أخرى، إلا أنني وابن عمي مراداً لم يَطِب لنا العيش فيها، فقررنا الرحيل.

الشيخ عجلان: وما اسم تلك القبيلة التي انضممتما إليها؟

ـ (بتردد) قبيلة (الرماحة)!

ـ هذه القبيلة لم أسمع بها من قبل.

أحد الحضور: قد تكون على تخوم دولة بني النبهان.

يتدخل مراد: فعلاً، إنها من تلك الأنحاء!

رجل آخر: ولكن أنت تعلم بأنك ستعيش في قرية صغيرة لن تمنحك الكثير من مباهج الحياة.

مراد: هذا صحيح.

ـ لو كنت مكانك لذهبت إلى المدن والحواضر الكبيرة.

رجل آخر: حقاً ما يقول، فإذا كنتما قد خرجتما من حياة البادية، فماذا ستفعلان في قرية صيد محاطة برمال الصحراء من ثلاث جهات، وتنوء صيفاً بحرارة لاذعة ورطوبة مريعة.

شخص آخر: لا يغرنّكم الجو اللطيف هذه الأيام، غداً ستصبح الحياة هنا لا تطاق، الكثير من الأهالي يفرون نحو المصايف في

الجبال والواحات في أعماق الصحراء، هرباً من الحرارة التي كأنها قادمة من نار جهنم.

فاضل: وإلى أين يمكننا الرحيل؟

أحد الحضور: يمكنكما الذهاب إلى العراق، حيث بغداد، والكوفة والبصرة، إنها حواضر كبيرة ومزدهرة.

كما يمكنكما الذهاب إلى الشام، حيث دمشق وحمص وحلب، وغيرها من المدن الرائعة.

أما مصر، فمدنها العظيمة يعرفها القاصي قبل الداني، ففيها القاهرة والإسكندرية ودِمْياط وغيرها.

فاضل: (بلهفة واشتياق) وكم يوماً نحتاج للوصول إليها؟

ـ (هاهاها) كم يوماً؟ هل ستنقلك الجن أيها الشاب؟

ستحتاج إلى أكثر من شهرين للوصول إلى العراق والشام، وشهرين أو أكثر من ذلك بكثير إن أردت مصر، وذاك للقافلة المجدَّة في السير.

ـ يا للهول!

ـ وماذا كنت تعتقد؟ تسأل وكأنك كنت تقطع المسافات في أيام معدودات!

يلوذ فاضل بالصمت.

يتدخل أحد الأشخاص قائلاً: إذا كانت تلك البلاد بعيدة فَثَمَّة بلاد أقرب منها، فبعد أسبوع من السير للمجد تقع عُمان وهي أقرب الحواضر إلى ساحلنا هذا.

شخص آخر: يمكنهما الذهاب إلى الأحساء والحجاز إن أرادا، فالحياة في تلك الديار لا بأس بها أيضاً.

يرد عليهما مراد (بحزم):

ـ كلا لن نذهب إلى أي مكان، سنبقى هنا.

الشيخ عجلان: (بهدوء وَتَروٍّ) أهذا قرارك الأخير يا بني؟

ـ نعم.

ـ ولكن لماذا؟

ـ لأني على يقين بأن لهذه القرية مستقبلاً عظيماً في مقبل أيامها.

(بانبهار) كيف؟

قد تكون (الوصل) قرية صغيرة ليس لها ذكر، إلا أنها في المستقبل ستغدو حاضرة مزدهرة لا تقل قوة وازدهاراً عن بغداد ودمشق والقاهرة.

فاضل: مراد!

ينظر القوم بعضهم إلى بعض بحَيْرة واستغراب.

يلتفت إليه الشيخ عجلان في هدوء.

ـ وكيف ذلك يا بني؟

ـ بعد عدة قرون، ستشيَّد المدن والحواضر على هذا الساحل الخالي وستغدو (الوصل) مدينة مزدهرة بسرعة، وستصبح حاضرة جميلة يقصدها الناس من مختلف بقاع الأرض.

يصمت الجميع، وينظرون إليه في ذهول.

يعاود الشيخ عجلان الحديث معه بهدوء وثبات.

ـ ما تقوله لا يمكن أن يحدث؟

ـ لماذا؟

ـ لأن الوصل ليست سوى قرية صيادين صغيرة، والصحراء تحيط بها من ثلاث جهات.

أحد الحضور: المياه قليلة هنا، والطقس حار مشبع برطوبة عالية معظم أشهر السنة.

شخص آخر: لا يمكن أن ينمو هنا سوى النخيلِ، وقليلٍ من النباتات.

الشيخ عجلان: الحواضر المزدهرة يا بني لا يمكن أن تشيد في الصحاري القاحلة، والمناطق التي تفتقر إلى المياه وخصوبة الأرض.

يجيبه مراد باندفاع قائلاً: سيخرج من هذه الصحراء ذهب وفضة سيحوِّلانها إلى بلاد عامرة.

ينتاب الصمت المريع الجميع فلا ينطقون ببنت شفة.

ينظر إليه الشيخ عجلان بارتياب.

يحاول فاضل تدارك الموقف.

ـ لا تبالغ يا مراد.

ثم يوجه كلامه للشيخ عجلان والحضور: إن مراداً بالغ في حبه لهذه البلاد وكان يقصد...

يقاطعه مراد: كلا إنها الحقيقة، والحقيقة القاطعة التي لا شك فيها ولا ريب.

الشيخ عجلان: ولكن ما تقوله غريب على مسامعنا، فما عرف العرب في هذه الأرجاء كنوزاً مدفونة.

مراد: إنها تحوي ذهباً وفضة بكميات هائلة، ولكنها في أعماق أعماق الأرض.

أحد الحضور: دُلّنا عل مواقعها، وسنعمل على استخراجها، ولو استغرق حفرها أشهراً عديدة.

ينظر إليه مراد بابتسامة قائلاً: كلا لن تستطيعوا.

الشيخ عجلان: ولمَ؟

ـ لأنه ليس ذهباً بالمعنى الذي تفهمونه، إنه سائل أسود اللون، سيستخدم بعد مئات السنوات في كل شيء في حياة البشر، وسوف تعادل قيمته الذهب بل أكثر.

ـ وماذا عن الفضة التي ذكرتها؟

ـ مع هذا السائل غاز من نوع فريد، سيستخدم أيضاً في أشياء كثيرة.

ـ هكذا إذاً.

ـ نعم، سيصبح هذا السائل ذهب ذلك الزمان، والغاز فضته.

ـ وماذا عن مصير (الوصل) بعد اكتشاف هذه الثروة؟

ـ ستتحول كما قلت لكم إلى مدينة كبيرة عامرة يقصدها الكثير من الناس.

ـ هذا أعجب ما سمعت في حياتي.

أكثر من شخص: وأنا كذلك.

ـ لم أسمع بشيء من هذا من قبل!

ـ عجيب هذا الكلام!

يسود اللغط بين الحضور.

يسأله الشيخ عجلان: هل تعلمت العرافة يا بني؟

ـ كلا!

ـ إذاً من أين لك أن تتنبأ بما سيحدث في مستقبل الأيام؟

ـ لست متنبئاً!

ـ (بانفعال) فمن أين لك أن تعرف كل هذا؟

يصمت الجميع.

يتدارك فاضل الموقف.

ـ إن مراداً تتراءى له الكثير من أحداث المستقبل بشكل غير معروف ويصدق في الكثير منها.

الشيخ عجلان: حقاً يا مراد؟

مراد: (باضطراب) نعم.

ـ إن كان هذا صحيحاً، فأنت شاب يتمتع ببصيرة نافذة.

ـ لا شك عندي في أن هذا ما سيحدث.

ـ حسناً وماذا ستفعلان الآن؟

ـ سنعمل عند النوخذة ربيع، وقد جئنا نستأذنك في ذلك.

ـ أذنت لكما، وستظلان مقيمين في المنزل ما دمنا غير محتاجين له.

ـ هذا كرم منك يا شيخ عجلان.

ـ من اليوم أصبحتما منّا، ومساعدتكما واجبة علينا.

يسلّمان على الشيخ عجلان، ويودعان الحضور ويخرجان.

ما إن يخرجان حتى يمسك فاضل مراداً (بانفعال) قائلاً له: مراد ما هذا الذي قلته للقوم؟

ـ هذا ما كان يختلج في داخلي.

ـ ولكنك بذلك أدخلتنا في أتون جدلٍ لن ينتهي بسهولة.

ـ ولكن ما قلته هو الحقيقة.

ـ ولكنها قرية صغيرة، وسوف ينتشر خبرك بسرعة.

ـ لا يهم، لم أقل ما يسيء، ولكن قلْ لي كيف تمكنت من الخلاص من مأزق سؤال الشيخ عجلان عن هويتنا بهذه السرعة؟!

ـ هاها، لقد قلت كلاماً في الهواء! وقد انطلى عليهم!

ـ (بمرح) يا لك من ماكر! ولكن في بعض الأحيان ليس للمرء إلا المكر للخلاص من المواقف الصعبة!

* * *

يذهبان إلى المنزل ليحملا قربتي ماء لملئها من البئر ويستكملا حديثهما.

ـ مراد أرجوك فلنبقَ هنا كأي شخصين عاديين.

ـ سأحاول، ولكني لن أعدك.

ـ مراد لا تحاول أن تصبح شخصاً متفوقاً على حساب هؤلاء البسطاء.

يُسقط مراد القربة من يده ويقول له (بحزم):

ـ لم يخطر في بالي مثل هذا الأمر أبداً، هؤلاء قومي وأهل دياري.

ـ فما هدفك إذاً؟

ـ قلت ذلك لأنها الحقيقة، وهم يجهلونها، وقد وجدتهم ينتقصون من قدْر قريتهم وكأنّ ما هي عليه الآن قَدَرٌ لن يتغير أبداً.

ـ لديهم حق في ذلك، فمن يصدق أنّ قرية (الوصل) الصغيرة ستصبح في المستقبل (دبي) المدينة العامرة.

يصلان إلى البئر فيجدان بعض القرويين ينتظرون دورهم للتزود بالمياه. يصطفان معهم.

إلا أن مراد يلتفت، فيشاهد دباة واقفة في صف منفصل، ومعها مجموعة من الفتيات.

يترك الصف ويتجه إليهن.

ـ السلام عليكن.

ينظرن إليه وهن متبسمات.

تجيبه دباة: وعليك السلام أيها الشاب.

ـ اسمي مراد!

ـ تبتسم في وجهه.

ـ أهلاً بك يا مراد.

كيف حالكِ يا دباة؟

ـ بخير، أنت اليوم متزيِّن هل ستخطب إحدى فتيات القرية؟

يتضاحكن بمرح.

ـ إلا أن مراداً يجيبها بجِديّة قائلاً: كلا ولكني قررت البقاء والاستقرار هنا.

تنظر له بتعجب ويتوقف ضحك الفتيات.

ـ ستبقيان في هذا القرية الصغيرة؟

ـ نعم.

ـ وما الذي يجبركما على ذلك؟ المدن الكبيرة كثيرة ويمكنكما إيجاد عمل في إحداها بسهولة.

ـ كلا لقد وجدنا أنسنا هنا، وأنا شخصياً وجدت نفسي في هذه القرية الصغيرة.

تنظر إليه بعيون هائمة، ثم تجيبه بشيء من الخجل قائلة:

ـ أتمنى لكما طيب الإقامة في قريتنا الصغيرة.

ينظر أحدهما إلى الآخر في مودة متصاعدة.

تقطع تواصل عيونهما إحدى الفتيات.

ـ هيا يا دباة املئي قربتك، فقد حان دورك.

يبادرها مراد سائلاً: هل تملئين القِرَب بنفسك؟

ـ نعم فأنا لا أحب الاتكال على الخدم في كل شيء.

ـ وهل هذه القِرَب تكفي لمنزل عامرٍ كمنزل والدك الشيخ عجلان؟

ـ (بابتسامة) بالتأكيد لا، ولكنها القرب الخاصة بي.

ـ حسناً، دعيها عنك، أنا سأملؤها وأوصلها لكم.

ـ ولكن...

ـ لا عليك.

تنسحب دباة من صف الفتيات بصحبة إحداهن عائدة إلى بيتها.

يحملق فيها مراد بينما تنظر للخلف بين لحظة وأخرى، حتى تغيب عن ناظره.

إلا أنها تعود إليه فجأة، وتقترب منه قائلة:

ـ بعد عدة أيام سنخرج في رحلة على إحدى سفن والدي.

ـ (بشغف) حقاً؟

ـ نعم، وتستطيع المجيء معنا على ما أظن.

ثم تشير إلى فاضل.

ـ أنت وصاحبك طبعاً!

ـ هل ستكلمي أباك؟

ـ (بخجل واستحياء) أنا، لا أستطيع.

ـ ولكن!

ـ لا أستطيع يا مراد، كلِّمه أنت.

تعدو مسرعة وتذهب وسط نظرات مراد وغمز الفتيات.

ينتظر فاضل مراداً لملء قرب دباة ثم يسيران معاً.

ـ يبدو أنك وقعت في الحب يا صاحبي.

ـ (بابتسامة) أظن ذلك.

يقبل عليهما أحد خدام الشيخ عجلان، وهو يجر عربة، يبادر إلى وضع القرب عليها ويمضي بها إلى منزلهما، ثم يعرّج إلى منزل الشيخ عجلان.

ما إن يدنو منه حتى يشاهدا الشيخ عجلان واقفاً والابتسامة على محياه.

ـ أهلاً بكما أيها الشابان الكريمان.

مراد: أهلاً بك يا شيخ عجلان.

ـ لمَ كلفت نفسك بتعبئة القِرَب؟

ـ هذا واجب.

ـ تفضلا بالدخول.

ـ شكراً لكم، علينا الذهاب.

ـ حسناً، في الأسبوع القادم سنذهب في رحلة بحرية، وأنتما ستكونان معنا.

فاضل: ولكن علينا أخذ الإذن من (النوخذة ربيع) الذي اتفقنا معه على أن نعمل عنده.

(يضحك الشيخ عجلان وسط استغرابهما).

ـ النوخذة ربيع أحد عمالي.

فاضل ومراد (بذهول وانبهار).

ـ حقاً!

ينظر مراد إلى الباب فيرى دباة من ورائه، ثم يلتفت إلى الشيخ عجلان قائلاً:

ـ حسناً يا شيخ سنذهب الآن وليس لنا إلا أن نشكرك الشكر الجزيل و ـ إن شاء الله ـ سنكون عند حسن ظنك دائماً.

يغادران إلا أن الشيخ عجلان يلاحظ نظرات دباة لمراد من وراء الباب.

يبدأ مراد وفاضل بتعلُّم الصيد والسباحة والغوص.

يُعرِّفهم (النوخذة ربيع) على بعض طاقم السفينة..

يعرّفهم على (المجديم الكبير) المساعد الأول للنوخذة ورئيس البحارة.

وهذا هو (المجديم الصغير)، مساعد المجديم الكبير.

يتركهم النوخذة ربيع قليلاً.

فاضل: لم أكن أتصور يوماً بأني سأعمل في سفينة وفي عصر غير عصرنا.

مراد: أشعر بأنني في حلم.

ـ وأنا كذلك.

يعود إليهما مرة أخرى.

ـ هيا بنا نكمل.

فاضل: هل هذا ضروري؟

ـ نعم فمن يعمل في البحر لا بد أن يتعلم كل شيء عنه.

يبدأ بتعريفهم إلى طاقم السفينة.

ـ هذا الرجل هو النهّام.

مراد: وما عمله؟

ـ إنه يقوم بالغناء أثناء تأدية البحارة لعملهم.

ـ عجيب!

فاضل: إنه عمل لم نكن نتوقعه أبداً.

ـ البحارة يمَلّون كغيرهم من الناس؛ لذا فإن الترفيه عنهم أمر في غاية الأهمية، ثم يلمحون رجلاً يقوم بإصلاح بعض المجاديف.

انظروا إليه جيداً، إنه يدعى بالأستاذ، وعمله إصلاح الأعطال في كافة أجزاء السفينة.

ثم يُعرّفهم إلى مجموعة من الطاقم، وهم ينظفون السطح.

ـ هؤلاء هم عامة البحارة.

مراد: ونحن سننضم إليهم.

ـ بالتأكيد، ولكن مستقبلكما يعتمد عليكما.

فاضل: كيف؟

ـ إذا اجتهد كل واحد منكما في عمله، واكتسب الخبرات اللازمة فسوف يتمكن من شَغْل منصب في مهنة الصيد ، وقد يتمكن من شراء سفينة خاصة به يكون مالكها وربانها .

مراد: أتمنى ذلك.

النوخذة ربيع: الأمنيات لا ينتج عنها شيء، لا بدّ من العمل والمثابرة حتى تتحقق.

لقد عملت أكثر من خمسة عشر عاماً كبحار، وتدرّجت حتى وصلت إلى مرتبة النوخذة.

فاضل: رائع حقاً.

ـ أهم شيء هو العمل بجد واجتهاد.

يتركهم (النوخذة) بين البحارة.

يمكثون بينهم بعض الوقت.

يكلمهم أحدهم :

ـ يبدو أنكما من أهل البادية.

فاضل: وكيف عرفت ذلك؟

ـ لأنكما تتصرفان وكأنكما لا تعرفان شيئاً عن البحر والصيد والسفن.

مراد: فعلاً نحن كما ذكرت.

ـ تعالا معي.

ـ إلى أين؟

ـ سأعرفكما إلى بعض أجزاء السفينة.

فاضل: هذا ليس ضرورياً.

ـ كيف إذاً ستعملان فيها؟

مراد: كلامك صحيح.

يأخذهما إلى مقدمة السفينة.

هذه مقدمة السفينة وتسمى «ميل صدر».

ثم يأخذهما إلى مؤخرتها.

ـ تسمى المؤخرة «ميل تفر».

وهذا العمود الكبير الذي يحمل أكبر الأشرعة يسمى «العود».

والعمود الثاني يسمى «القلمي».

ثم يريهما المجاديف التي تسير بها السفينة.

مراد: وماذا يسمى أسفل السفينة؟

ـ تقصد البيص!

ـالبيص!

ـنعم إنه القاعدة الأساسية في أي سفينة، فهو أول ما يُصنع من أجزائها.

وهو قاعدة السفينة وعمودها الفقري وجزؤها الأكبر.

ـ وماذا يوجد في داخل السفينة؟

ـ في الداخل ينام البحارة وتخزن أمتعتهم، ويحفظ الطعام ويسمى بـ «الجوف».

يعرفهما البحار إلى الدفة التي تقاد بها السفينة.

يريهما الحبل الذي تربط به مرساة السفينة، وغطاء المدخل لجوف السفينة المسمى (بالخن).

وعلم السفينة الذي يسمى (بنديره).

* * *

يقضي مراد وفاضل عدة أيام، وهما يتعلمان شؤون البحر والسفن والبحارة، ثم يمنحهما النوخذة (ربيع) إجازة لتمكينهما من الذهاب في الرحلة البحرية.

يستغلانها في مشاهدة حياة القرية ... يشاهدان القرويات وهنّ يطحنّ حبوب القمح بالرحى ليصنعن خبز الرقاق بماء التمر.

ويشاهدان القرويين وهم يرعون مواشيهم في البراري المحيطة بالقرية.

يأخذونها إلى المنطقة الزراعية بالقرية.

يشاهدان النخيل، والرقروق والصفار والنفل والصبار، يحيط بها فلج صغير لري المزروعات.

في يوم الرحلة يتوجهان منذ الصباح الباكر إلى السفينة. يجدانها سفينة كبيرة ونظيفة.

ـ أرأيت يا فاضل، إنها تشبه السفن السياحية على جانبي الخور، أليس كذلك؟

ـ فعلاً إنها كذلك، يبدو أننا سنستمتع برحلة رائعة، خاصة وأن الجو جميل جداً.

يصعدان إلى السفينة ويشاهدان الشيخ عجلان فيسلِّمان عليه.

يجتمع حوله عدد من الأشخاص. يبدأ البحارة بالاستعداد للانطلاق. ينضم إليهم مراد وفاضل.

يرفع الشراع لتبدأ السفينة بالإبحار وسط الهواء العليل والشمس المشرقة.

يجلس الجميع رجالاً ونساءً لتناول طعام الفطور.

يسأل مراد الشيخ عجلان قائلاً:

ـ هل هذه السفينة أكبر سفنكم؟

ـ (بابتسامة) لا تحسبني ثرياً يا بني، إنها ثلاث سفن لا أكثر، وهذه أكبرها، ولأننا الآن في موسم الشتاء، فإنها تظل راسية على ساحل الخور معظم الوقت، بانتظار موسم الصيد الكبير في الصيف.

أحد الحضور: ستحتاج معظم المراكب والسفن لإصلاحات شاملة قبل الموسم، حتى يمكن الإبحار بها في الموسم القادم.

يلتفت الشيخ عجلان إلى مراد.

ـ أخبرنا يا مراد كيف ستكون السفن بعد خمسمائة عام؟

يذهل مراد من سؤاله. بينما يتوارى فاضل خوفاً.

يتطلع مراد في الوجوه، فيرى دباة تنظر إليه بقلق.

يستعيد رباطة جأشه، فيلتفت إلى الشيخ عجلان بوجه مبتسم قائلاً:

ـ السفن في المستقبل ستبنى من الحديد.

ينظر إليه الجميع بذهول واستنكار.

وستسير بواسطة محركات ضخمة، ولن تعتمد على الرياح أبداً.

وستبنى سفن ضخمة جداً، بحيث يكون فيها ممرات وأزقة وغرف واسعة ومطاعم ومتاجر ومشافٍ، وسيتوفر فيها كل ما يحتاجه المسافر، وكأنه يعيش في مدينة.

يسود اللغط بين الحضور.

ـ كلام لا يمكن تصديقه يا هذا.

مراد: بل إنها الحقيقة.

ـ ما تقوله محض وهم.

مراد: بل حقيقة.

ـ والسفن المبنية من خشب هل ستنقرض؟

مراد: بل ستظل موجودة، ولكنها ستستخدم في الصيد والرحلات.

ـ لا أصدق هذا الكلام.

ـ وأنا كذلك.

ـ أنت تسخر منا.

مراد: بل إنها الحقيقة، وستكون هناك سفن ستسمى « يخت» عبارة عن بيوت حقيقية تعوم على الماء.

أحد الحضور: أنت كاذب!

يتدخل الشيخ عجلان: أرجوكم اهدؤوا، أنا الذي سألته وهو أجاب، لم يكن هو البادئ في هذا الأمر.

ـ هل أنت عرّاف ياهذا؟

ـ لا.

ـ بل عراف وإلا كيف عرفت هذه الأمور بكل هذه التفاصيل وبكل هذه الدقة؟

مراد: إنها الحقيقة التي تراءت لي.

يتدخل الشيخ عجلان قائلاً:

الرجاء التزام الهدوء، إن مراداً شاب نبيل، ولم نرَ منه ومن صديقه فاضل إلا كل خير، عاملوه بلطف، ولا أريد أن أسمع أنّ أحداً آذاه، أو سخر منه، من أراد تصديقه أو تكذيبه فهذا شأنه.

ينفض الجميع. يتجه مراد إلى مكان يتأمل منه البحر، ويرفرف عليه الهواء العليل

تنزل منه عدة دموع، إلا أنه يمسحها بسرعة.

يتقدم منه فاضل ليقف معه.

فاضل: قبل فترة وجيزة كنا نقوم برحلة بحرية في هذا الخور، كانت البنايات الزجاجية الجميلة والجسور تحيط بنا من كلا الجانبين، لقد كانت ألوانها تنعكس على سطح الماء، لتضفي رونقاً ساحراً، كنا نبحر على أغاني أم كلثوم وفيروز، ونتناول الطعام الشهي، ونستمتع بالعروض المشوقة والاستعراضات الرائعة، لقد كانت أياماً جميلة لن تنسى.

أليس كذلك يا مراد؟

يلتفت إليه قائلاً: بالرغم من البون الشاسع، إلا أن الإنسان هو الإنسان، فأهل هذا العصر يمارسون ما كنّا نمارسه، ولكن وفقاً لما هو متاح لهم.

ألا تشعر بالغربة يا مراد؟

ـ الغربة تقتلني يا فاضل، ولكننا في غربة من نوع فريد، فالأرض هي الأرض، والوطن هو الوطن، ولكن قبل أكثر من ستمائة عام!

ـ فعلاً إنها غربة من نوع لم نألفه أو نعرفه سابقاً.

عندما كنا في أمريكا كنا نعاني من غربة الوطن، وفراق الأهل، إلا أننا نستطيع الاتصال بهم والتحدث معهم في أي وقت، وكنا نستطيع العودة إلى بلادنا في أي وقت نشاء، ولكننا هنا نعاني من غربة الزمن، ويا لها من غربة، أكاد أختنق!

ـ مراداً: ماذا؟

يلتفت وراءه فيرى دباة آتية. ينسحب فاضل بهدوء. تدنو منه دباة وتقف إلى جانبه.

ـ مراد، هل يمكنني أن أسالك؟

(بابتسامة) تفضّلي.

ـ كيف تعرف المستقبل إن لم تكن عرافاً؟

ينظر إليها نظرة عاشق حانٍ.

ـ إنني أعرفه لأنني عشته.

ـ مراد هل أنت رجل قادم من ذلك العصر الذي يتقدمنا بمئات السنين؟

ينظر إليها مراد بتعجب.

ـ دباة لم أتوقع منكِ سؤالاً كهذا؟

ـ (بحزم) أجبني يا مراد، هل أنت رجل من عصر غير عصرنا؟

يُعرِض عن إجابتها بالسكوت لتسكت هي الأخرى.

تبتسم وهي تنظر إلى البحر.

ـ أيهما أجمل فتيات ذلك العصر أم عصرنا؟

ينظر إليها بحنان دافق.

ـ دباة.

ـ نعم.

ـ أنا أحبك.

تتطلع له بثباث مشوب بخجل قائلة:

تحب امرأة بينك وبينها مئاتُ السنوات؟

يلتفت إليها متطلِّعاً في وجهها قائلاً:

الحب هو الحب، لا يعرف زماناً ولا مكاناً ولا عالماً ولا عصراً.

إنه كالهواء يخترق كل شيء، وكالضوء يقطع الأزمان، ويخترق الحجب ويمضي بين العوالم والعصور، ليسقط في قلب الحبيب أينما كان.

ـ مراد!

ـ نعم يا توأم الروح.

ـ أنا أيضاً أحبك.

تذهب عنه، والابتسامة تملأ ثغرها.

يمضي مراد وهو في قمة نشوته إلى فاضل، ويتوجهان إلى مساعدة البحارة في تنظيف السفينة التي تتجاوز الخور، لتصبح في عرض البحر وتتجه مبحرةً إلى جزيرة القمر لترسو عليها.

* * *

ترسو السفينة على الجزيرة. ينصبون الخيم، ويتجه كل فريق إلى ممارسة عمل ما. تبدأ بعض النساء والفتيات في إعداد وجبة الغداء، بينما يجلس البعض يمرح في أرجاء الجزيرة. مراد وفاضل وآخرون يجلسون بمعيّة الشيخ عجلان.

هذه الجزيرة جئناها مراراً وتكراراً، إنها كما ترونها مليئة بالأعشاب والحشائش، وتأتيها الطيور في فصلي الخريف والشتاء.

فاضل: إنها جميلة جداً.

ولكنها حارة ورطبة صيفاً.

أحد الحضور: نبيت فيها ليلتنا هذه؟

الشيخ عجلان: كلا، لا حاجة لذلك، سنرحل عنها بعد ست ساعات، إنها مدة كافية.

يأتي أحد البحارة معلناً بأن وجبة الغداء أصبحت جاهزة.

يجلس الجميع على مائدة الغداء.

الشيخ عجلان:

الحمد لله على هذه النعمة.

يحمد الجميع بنفَس واحد، ثم يبدؤون بتناول الغداء.

كانت المائدة تضم سمكاً مشوياً ومحاراً، ولحم جمل، وغزالاً، وأرنباً، وضأناً، وفاكهة، وخضاراً، وتمراً.

بعد انتهائهم من تناول الغداء يتفرقون، ليكونوا عدة جماعات على الجزيرة. بعضهم يشرب القهوة، وبعضهم يسترخي، وبعضهم يجلس على الشاطئ.

* * *

يسترخي الشيخ عجلان في خيمته. بينما تبدأ الفتيات ومنهن دباة بالتنزه في أنحاء الجزيرة ... ينظر مراد لدباة بشغف.

فاضل: مراد أبعدْ عينيك الماكرتين عن الفتاة؟

ما كنت لتنظر إليها، لو لم تكن ابنة الشيخ عجلان.

يجيبه مراد بابتسامة: كلامك غير صحيح، إنها فتاة رائعة، والشيخ عجلان ما هو إلا شيخ قرية بسيطة.

ـ أفحمتني! لقد نسيت أننا نعيش في قرية صغيرة، وقد أعجبت بها قبل أن تعرف من هي!

تدخل دباة على والدها، وتسأله أن تتجول بالقارب قرب الشاطئ. يوافق بعد أن يوصي أحد البحارة بألا تغيب عن ناظريه.

تخرج دباة برفقة صديقتيها، وتطلب إنزال القارب الصغير.

تبدأ بقيادته بنفسها وهي في قمة المرح.

ينظر إليها مراد بابتهاج، ثم يبتعد إلى داخل الجزيرة متحدثاً مع صديقه فاضل.

ـ ما رأيك بما شاهدته قبل قليل يا فاضل؟ إنهن يُذكِّرنني بالقوارب في مدن الملاهي والألعاب.

ـ فعلاً!

ـ قلت لك سابقاً، الإنسان هو الإنسان في كل مكان وزمان، الفرق فقط في الظروف والإمكانيات.

ـ حقاً، الرحلات البحرية، والترفيه، والسفر، موجودة في كل العصور.

ـ ولا تنسَ الحب، فهو عطر الحياة وإكسيرها على امتداد الزمان وإلى الأبد.

فجأة تهب رياح عاتية وتتلبد السماء بالغيوم. تحاول دباة العودة إلى الشاطئ إلا أن القارب يبدأ بالدخول في عرض البحر بسرعة رهيبة. تقذف صديقتها بنفسها في البحر إلا أن دباة لا تتجرأ على ذلك. يراها بعض البحارة الذين خرجوا من داخل السفينة فيبادرون إلى إنقاذها ومحاولة اللحاق بالقارب، إلا أنهم يخفقون في ذلك. يصل الخبر إلى الشيخ عجلان فيهرع إلى السفينة. يعلم مراد وفاضل بالخبر فيقتحمان الجموع.

ـ لقد أنقذنا مرافقتيها أما هي.

يصاب الشيخ عجلان بالغمّ الشديد.

يوجه سخطه إلى البحار الذي كلّفه بحراستها: أين كنت عندما بدأت الرياح بالهبوب؟

ـ لقد استدعاني النوخذة خزام، فذهبت إلى داخل السفينة، ولم أعلم بما كان يحدث في الخارج.

ـ الويل لك، إن تصرُّفك هذا قضى على حياة ابنتي.

أحد البحارة: لم يكن هناك أحد على ظهر السفينة، ولولا أن ثلاثة منهم كانوا على ظهرها في الوقت المناسب لغرقت الفتاتان.

تنتاب مراد رعشة رهيبة.

ـ دباة، مستحيل.

يحاول الغطس في البحر إلا أنهم يمنعونه.

أحد البحارة: الموت مصيرك المحتوم إن تجرأت على السباحة في مياه هذا البحر الغاضب.

ـ لن أتخلى عن دباة أبداً.

ينظر إليه الشيخ عجلان بيأس. يدنو منه مراد.

ـأنا أحبها ولن أتركها.

يستمع إليه الجميع بقنوط.

ـ أيها الشاب.

ينظر مراد إلى شخص واقفٍ على الشاطى.

ـ دونك هذا القارب.

الشيخ عجلان: (بغضب) إنك بذلك تقتله.

يخترق مراد الصفوف ويصعد القارب.

إلا أن الشيخ عجلان ينهره بشدة قائلاً: كلا لن أسمح لك يا مراد بأن تقتل نفسك.

يتدخل فاضل: لن تتمكن يا مراد من مواجهة هذه المياه المتوحشة.

ينظر إلى الجميع ببسالة قائلاً: إما أن أحيا مع دباة، وإما أن أموت معها.

يبحر مراد بالقارب الذي يندفع وسط الأمواج العاتية.

سرعان ما يدخل إلى عرض البحر بسرعة.

ينادي بأعلى صوته: دباة أين انتِ؟

يستمر في النداء عليها دون كلل.

دباة تجدف نحو الشاطئ وتقاوم الأمواج والرياح في خوف شديد حتى يصل إلى مسامعها نداء مراد.

ـ إنه صوت مراد، لا شك أنه مراد.

تحاول التجديف نحوه، وتناديه بأعلى صوتها.

ـ أنا هنا، أرجوك تعال وأنقذني.

يسمعها مراد. يحاول تحديد مكان صوتها رغم الرياح العاتية والأمطار الشديدة.

يناديها بأعلى صوته مرة أخرى فتردّ عليه.

يحدد اتجاهها فيمضي إليها.

يبحر ببطء شديد مقاوماً الأمواج حتى يشاهد القارب الذي يقلها.

ـ لا تقلقي يا دباة أنا قادم إليك.

يتجه إليها بأقصى قوته بينما تحاول دباة أن تتجه إليه هي الأخرى بالرغم من إنهاكها الشديد.

تحول بينهما موجة قوية إلا أن مراداً يستأنف مسيره نحوها. يقترب منها، ولكن الأمواج تحول بينهما مرة أخرى.

يلقي مراد بنفسه في المياه المضطربة، ويسبح نحوها حتى يقترب من قاربها.

تمد له الحبل. يمسك به ولكن الأمواج العاتية تمنعه من الوصول للقارب.

تغلبه الأمواج فيفقد الحبل.

يعود فيمسك به بعد جهد جهيد. يستنفر قواه، فيتعلق به حتى تمكن من الصعود في القارب.

يستلقي وهو في غاية الإرهاق والتعب والإنهاك. ينظر كلٌّ منهما إلى الآخر بعذوبة واستلطاف، وسرعان ما تبكي دباة.

ـ دباة اهدئي قليلاً.

ـ لا أمل لنا بالنجاة، سيتحطم القارب.

ـ سننجو صدّقيني.

ـ ما كان عليك أن تأتي لنجدتي.

ـ دباة أنا أحبك، ولن أتخلى عنك أبداً.

ـ مراد لا ذنب لك حتى تموت معي.

ـ ذنبي بأني أحبك.

يبدأ القارب بفقدان توازنه وتتقاذفه الأمواج. ينهض مراد ودباة ويحاولان التجديف.

إلا أنهما كانا منهكين بشدة. يستلقيان في وسط القارب في محاولة منهما لاتّقاء أمواج البحر.

ـمراد أنا آسفة حقاً.

ـلا تقولي ذلك، إنه قدرنا وعلينا مواجهته بشجاعة.

تهاجمهما موجة عاتية، فتقلب القارب وتحطمه وتقسمه إلى عدة أجزاء.

يتمسك مراد ودباة بقطعة خشبية كبيرة من بقايا القارب.

يظلّان متمسِّكين بها بينما تهدأ الأمواج وتتراجع حدة الرياح.

تنظر دباة إلى مراد بإعجاب رغم ضعفها الشديد.

ـ مراد أنت إنسان متميز، وأنا محظوظة بك.

ـ حتى لو علمت بأني قادم من عصر غير عصرك؟

(بلامبالاة) طالما أصبحت بيننا فأنت من عصرنا، لا أهتمّ بأي شيء آخر سوى أنك مراد الذي أحبه.

ـ دباة أنت النور الذي يضيء لي دربي في مسالك هذا الزمن العاتي الذي قذفت فيه.

فجأة يسمع مراد صوت طرّاد.

ـ ما هذا الذي أسمعه؟

ـ ماذا تسمع؟

يقترب منهما (طراد) تابع لخفر السواحل في دبي.

ـ مستحيل!

ينظر إلى الآفاق فيرى مدينة دبي وأبراجها وعمارتها.

ـ لا يمكن!

ـماذا يا مراد؟

ينظر إلى دباة وما خلفها فيرى عصر الوصل، وينظر إلى الأمام فيرى عصره.

ـ مستحيل! لا يمكن.

تبدأ دباة بالشعور بالقلق الشديد.

يقترب منهما زورق لخفر السواحل.

يرفع أحد الجنود السماعة ويخاطب قائده في مركز القيادة داخل القاعدة.

ـسيدي وجدنا رجلاً مجهول الهوية عالقاً بجزء من قارب محطم، ويجري التعامل مع الموقف.

ـ عُلِم، سيصلكم طاقم إضافي للمساعدة.

يقتربون منه.

يخاطبه أحدهم:

ـلا تقلق سننقذك حالاً.

يدنو الزورق منه. يخاطبه أحدهم:

ـأعطني يدك.

ينظر مراد تارة إليه وتارة إلى دباة.

ـ مراد ماذا دهاك؟

أعطني يدك أيها الشاب هيا، فأمواج البحر قد تهيج مرة أخرى.

يمدُّ له يده. تشاهده دباة وهو يمد يده في الفراغ

يسحبه. ينظر مراد لدباة وقد بدأت تغيب عن ناظريه فيسحب يده ليعود لمشاهدة دباة بوضوح.

ـ لماذا سحبت يدك؟ ألا تريد النجاة؟

يعرض عنه ويلتفت إلى دباة.

ـ مراد ما بك؟ مع من تتحدث؟ ولماذا تمد يدك هكذا؟

ـ لا تقلقي.

ـ عندما مددت يدك كأنك بدأت تغيب عن ناظري.

يعود الشرطي للتحدث معه.

ـ إن معي امرأة لا بد أن أنقذها.

ـ أين هي؟

ـ إنها بجانبي، ألا ترونها؟

يخاطبه أحدهم: إننا لا نرى أحداً سواك.

ـ لا أستطيع ترك دباة هنا، ستموت إن فعلت ذلك، أرجوكم ساعدوها وإن كانت من عصر غير عصركم، فالواجب هو الواجب في كل زمان ومكان.

ـ نحن لا نرى شخصاً غيرك، أرجوك ساعدنا لإنقاذك.

ينظر مراد تارة لشرطة خفر السواحل وتارة إلى دباة.

ـ أنا أرى الجميع ولكن دباة لا ترى طاقم الشرطة وهم لا

يرونها، كيف هذا؟ أنا محصور بين عصرين وبين أشخاص لا ينتمي بعضهم إلى أزمنة بعض. ماذا أفعل؟

ـ ما بك يا مراد؟ مَن هؤلاء الذين تتحدث معهم؟

يلتفت إليها قائلاً: لا تقلقي، سننجو، فالحب هو حبل نجاتنا.

ـ ( ببكاء) حقاً.

ـ حقاً يا توأم الروح وبهجة الفؤاد.

الشرطي يلاحظه يتحدث مع شخص لا يراه.

يبدو أنه يهذي.

يخاطبه زميله: ليس أمامنا من خيار سوى أن نطلق عليه مخدراً لنتمكن من انتشاله.

يجهزان الرشة المخدرة، ويدنوان منه.

مراد: ما هذه العلبة التي بيدك؟ ماذا ستفعلان؟

يضع أحدها رجله في قطعة القارب العالق بها مراد، إلا أنه يفاجأ بصاعق كهربائي فيرتد إلى الزورق.

ينظر إليهما مراد (في ذهول) إلا أنه فجأة يسمع مع دباة أصواتاً تناديهما.

يا إلهي! لقد جاؤوا لإنقاذنا أخيراً يا مراد.

يلتفتان وراءهما فيشاهدان قارباً يحمل مجموعة من البحارة وفي مقدمتهم الشيخ عجلان وفاضل.

ـ ( ببكاء) لقد نجونا، نجونا يا مراد.

ـ نعم نجونا.

الشرطيان يسمعان مراداً يتحدث مع شخص لا يريانه.

ـ لا شك أنه أصيب بهلوسة شديدة.

ما إن يقترب منهما زورق الدعم حتى يشاهدا مراداً وقد بدأ يختفي من أمام ناظريهما.

ـ لا يمكن أن يحدث هذا! إنه يختفي شيئاً فشيئاً.

ـ عجيب!! أمر لا يصدق.

يناديان على مراد إلا أنه أصبح خارج نطاق رصد حواسهما.

يختفي تماماً عنهما.

ينتشل البحارة مراداً ودباة، ويحتضن الشيخ عجلان ابنته دباة، بينما يعانق فاضل والبحارة مراداً، ثم يعانق الشيخ عجلان مراداً بشدة.

يمسك بيد كل منهما ويجمعهما قائلاً: اعلموا أن مراداً أصبح منذ اليوم زوجاً لدباة.

يهتف الجميع ويصفقون، بينما ينظر فاضل لصديقه (بإعجاب).

ثم يبدأ البحارة بإدارة دفة القارب للعودة إلى الجزيرة.

* * *

يعود الشرطيان إلى قاعدتهما وهما لا يزالان مذهولَيْن مما شاهداه، إلا أنهما يرفعان تقريراً بالواقعة.

لا يمكن أن يختفي هكذا، لا يمكن أن يحدث هذا على الإطلاق.

أحدهما: هذا ما حدث يا سيدي.

واجبنا يا سيدي أن نقول الحقيقة التي شاهدناها.

سأرسل فرقة للبحث عن أية جثة مفترضة.

ولكن لا يمكنني إبلاغ قيادة أمر الخفر بمثل هذه الواقعة بأي حال.

ما إن تشرق الشمس وتنقشع الغيوم ويهدأ البحر، حتى تتجه زوارق الإنقاذ إلى المنطقة التي شوهد فيها مراد.

يستمر البحث عدة ساعات دون جدوى.

لم تجد فرق البحث أي جثة غارقة.

هكذا يقول قائد فرقة البحث لرئيس قاعدة خفر السواحل بحضور الشرطيين.

أحدها: أين اختفت جثته يا ترى؟

قائد فرقة البحث: لو كانت ثمة جثة لاكتشفناها، فلقد استعنا بأجهزة كشف غاية في التطور.

يلتفت قائد القاعدة للشرطيين: هل ما زلتما مصرّين على أنكما التقيتما بشخص كان بحاجة للمساعدة؟

أحدهما: نعم سيدي.

ـ على كل حال سأحتفظ بتقريركما حين الحاجة إليه ...انصراف

ـأمرك سيدي.

ينصرف الشرطيان وهما لا يزالان حائريْن في أمر مراد الذي ظهر لهما في عرض البحر واختفى فجأة إلا أن كلماته الأخيرة لا تزال ترفرف حول مسامعهما.

لا أستطيع ترك دباة هنا، ستموت إن تركتها. أرجوكما ساعداها وإن كانت من عصر غير عصركما، فالواجب هو الواجب في كل زمان ومكان.

## الحلقة الرابعة

# دباة والمارد

يتزين بيت الشيخ عجلان وتعمّه الأفراح.

يرتدي مراد الذي اشتهر في القرية بأنه العراف الذي يعرف الكثير عن المستقبل ثوباً أبيضَ عليه مشْلحٌ فاخرٌ وشماغ أحمر يزينه عقالٌ أسود فخم.

وتلبس دباة جلباباً واسعاً أحمر اللون، وشيلة مزركشة مزينة بخطوط فضية لامعة، وزَخرَفت يديها ورجليها بأشكال بديعة من الحناء.

يرقص الرجال ويؤدون الأغاني الشعبية، وترقص الفتيات في محفلهن الخاص بفرح ومرح.

بينما المائدة مليئة بصنوف وأنواع وألوان من الأطعمة والأشربة المختلفة.

يبدأ الجميع بالخروج تدريجياً من منزل الشيخ عجلان. بينما يستعد مراد للقاء دباة.

يدخل عليها في غرفتها...

ينظر مراد إلى دباة فيراها في حلة بهية. يتأملها ملياً بينما تنزل رأسها منه خجلة.

ـ أنتِ الليلة أجمل من القمر.

ـ (ترفع رأسها) وهل كان أجمل مني يوماً؟

ـ أقصد أن جمالك فاقَهُ بكل وضوح.

ـ مراد!

ـ نعم يا توأم الروح.

ـ ألا تحن إلى وطنك؟

ـ (بابتسامة) وكيف أحن إليه وهو بقربي.

ـ أقصد وطنك الذي عشت فيه، وفيه قومك.

ـ دباة، إنني لم أغادر وطني، إن (الوصل) والصحراء والساحل والخور وطني على الحق والحقيقة، ولكنني فقط في عصر غير عصري، غادرت عصري، ولم أغادر وطني.

أنا غريب عصر، لا غريب وطن.

ـ مراد، إنني لا أستطيع أن أصدق أنك رجل من عصر لم يأتِ بعد.

ـ أعلم أن ما أقوله في عداد المستحيلات ولكنها الحقيقة.

فكيف هو عصرك؟

ـ عصري أيتها الغالية مختلف عن عصركم، كل شيْء في حياتكم تمارسونه نمارسه نحن أيضاً ولكن بطرق أخرى، كل شيء

موجود عندكم موجود عندنا ولكن بأشكال أخرى أكثر جمالاً، فخلال الستمئة عام القادمة ستقفز حياة البشر قفزات عظيمة، لا يمكنك تصورها في هذا العصر.

ستبنى البيوت بعضها فوق بعض لترتفع إلى عنان السماء.

سيتمكن البشر من السفر من هنا إلى أقصى الأرض في أقل من يوم واحد.

ـ رباه! أيحدث هذا حقاً؟

ـ بل إنه حدث فعلاً!

في عصري ستستخدم الطاقات غير المنظورة، التي لا يمكن لنا أن نشاهدها بالعين المجردة، وستتمكن من تسخير طاقات الطبيعة وموادها لصناعة آلاف المخترعات التي ستجعلنا نعيش حياة تعتبر الآن خيالاً ووهماً وحلماً عندكم.

ـ اضرب لي أمثلة على ما تقول يا مراد.

ـ سأفعل، عندما تكونين في غاية البعد عني سأتمكن من التحدث معكِ، وأن أراك بعيني أيضاً.

ـ كيف؟

ـ سيخترع البشر آلة سيتمكن كل الناس من استخدامها، ومن خلالها سنتصل ويرى بعضنا بعضاً، ولو كنت أنا في مشرق الأرض وأنتِ في مغربها.

ـ هههه، مستحيل لا أصدق.

ـ معظم ما تسمونه مستحيلاً هنا، سيكون أمراً عادياً، بل مألوفاً جداً هناك.

ـ سنتمكن من معرفة ما يجري في مختلف أنحاء الارض فور حدوثه، سنستطيع رؤية ما في السماء وأعماق البحر و...

ـ مراد، كفى.

يمسك مراد بيديها ويقبلها.

ـ هل أزعجتك أيتها الحبيبة؟

ـ (بابتسامة) لا، ولكنك تقول ما لا يمكن احتماله.

ـ أنا آسف يا حبيبتي، لن أكررها مرة أخرى.

تمسح دباة بيديها على جبينه وخدّيه.

مراد: لبيك أيتها العزيزة.

ـ هل تشتاق إلى أهلك وعشيرتك؟

ـ أشتاق إليهم بشدة، كم أصبو إلى صدر أمي وحضن أبي ومودة أشقائي! أشتاق إلى الإمارات ودبي، وكم أشتاق إلى شارع السبخة!

ـ وما شارع السبخة؟

ـ إنه شارع جميل أيتها الحبيبة، يقع في وسط السوق، يعج طوال اليوم بالمتسوقين وتملؤه المتاجر التي تعرض البضائع الجميلة، لقد عشت في أرجائه ذكريات جميلة لن تمحى من ذاكرتي أبداً.

ثم يقف وقد ترقرقت عيناه بالدموع.

ـ أمي كم أحبك، كم أتوق إلى صوتك المليء بالحب والأمل!

تنهمر الدموع من عينيه.

تحتضنه دباة.

ـ أشعر بأني لن ألتقي بها أبداً.

ـ لا تقل ذلك، ولعل بعد هذا الفراق لقاء.

ـ إنني قريب منهم، لأني أعيش في محطة زمنية ليس إلا، فالعصور ليست سوى محطات في قطار الزمن، وليس علي سوى إيجاد طريقة للانتقال بينها لأعود إلى محطتي.

ـ ولكن يا مراد!

ـ ماذا؟

ـ إذا كان ما تقوله صحيحاً فهذا يعني بأنني من عصر، وأنت من عصر آخر.

ـ الحب لا يعرف المكان أو الزمان، الحب في الروح، في الأجساد النجمية الخالدة التي تتجاوز الأزمان والأماكن والبقاع.

ـ ولكن إن قدِّر لك أن تعود إلى عصرك، فلن أتمكن من العودة معك.

ـ دباة!!

ـ لأني سأكون بحكم الميتة.

يحتضنها مراد.

ـ إن لم تتمكني من العودة معي، فسوف أبقى معك هنا.

ـ وفاضل؟

ـ (فليعد إن شاء) أما أنا فلن أعود من دونك.

ـ ولكننا أموات بالنسبة إليكما.

ـ ولكنكم الآن أحياء حقاً وحقيقةً وواقعاً، أحياء بكل معنى

الكلمة، وأنا معكم وفيكم، وسأظل معكم لأكون ميتاً في عصري وحياً في عصركم.

ـ مراد لا أريد أن أكون عائقاً أمام عودتك لعصرك وأهلك.

ـ دباة أنتِ الحب الذي يتجاوز كل زمان ويوجد في كل مكان.

أنت الحب الذي لا يموت، لأنه في الروح والروح سرمدية تسافر بين عوالم الأبد وشواطىء الخلود.

* * *

يعود مراد إلى المنزل فلا يجد فاضلاً إلا أنه يسمع خطوات على السطح، فيخمن أنه هناك فيصعد إليه.

يراه واقفاً ووجهه نحو السماء المزينة بالنجوم.

ـ فاضل ما بالك واقفاً هنا في مثل هذه الساعة ؟ لقد قاربنا الفجر.

ينظر إليه بوجه متجهّم قائلاً:

ـ هل قضيت وقتاً ممتعاً مع حبيبتك.

ـ (بابتسامة) نعم، إن دقائقه تقدر بالذهب، العقبى لك يا صديقي.

ـ العقبى لي! (بغضب) يبدو أنك نسيت أننا في ورطة كبيرة.

ـ (بحزم ) كلا لم أنسَ.

ـ (بغضب مستطير) فلمَ إذاً أقدمت على مثل هذه الخطوة؟

ـ إنني أحبها يا فاضل.

ـ تحبها! تحب مَن؟ امرأة قادمة من العدم.

ـ إنها الآن زوجتي يا فاضل.

ـ زوجتك! إنها بحكم الميتة التي تقبع روحها في أعاصير الموت والفناء منذ مئات السنوات.

ـ لا تقل ذلك.

ـ بل هذه هي الحقيقة، ما إن نتجاوز هذا الزمن حتى تكون دباة امرأة ليس لها وجود.

ـ فاضل!!

ـ امرأة ماتت منذ أكثر من ستمائة عام، وتحوّل جسدها إلى رميم.

ـ فاضل ما عهدتك بهذه القسوة أبداً.

ـإنها الحقيقة التي لا شك فيها ولا ريب.

ـالحقيقة أنني أحبها وربطت مصيري بمصيرها.

ـ ماذا تعني؟

ـ لن أعود إلا بها.

ـ هذا هو المستحيل بذاته وصفته، إن قُدِّر لك أن تعود إلى عصرك، فكيف يمكنك أن تأتي بشخص آخر من عصر انقضى وانتهى؟ إنك بذلك تخالف كل قواعد الفيزياء بل كل قوانين الوجود.

ـ إنني أحبها؛ بل إنني هائم بها.

ـ تحبها أكثر مما تحب والدتك ووالدك وبقية أهلك؟!

هل تحب (الوصل) أكثر مما تحب دبي؟

هل تحب هذا الساحل الفارغ أكثر مما تحب الإمارات؟

ـ فاضل! إننا مازلنا في وطننا.

ـ أي وطن هذا؟ لا تختلق الأكاذيب، ثم تكون أول من يصدقها.

ـ إنها الحقيقة.

ـ أي حقيقة هذه؟ أننا نعيش في قرية صيادين مطلة على البحر، نعيش على ساحل فارغ من الناس والحضارة!

واجبنا تجاه أنفسنا وتجاه وطننا وشعبنا أن نعود إلى عصرنا، إلى حياتنا الطبيعية.

ـ فاضل إنك لم تعرف الحب على حقيقته.

ـ الذي أعرفه أن دباة ستجدها في كل زمان ومكان، وإن كان هذا هو الوطن بالرغم من اختلاف الزمان، إلا أنه يظل غربة عميقة لا بد أن نتحرر منها.

يدنو من مراد الذي بدا عليه التأثر.

( بهدوء) علينا التحرر من هذا الزمن العاتي الذي سقطنا فيه.

ودباة والشيخ عجلان والوصل؟

مراد، لن تستطيع أن تقضي أيام الأسبوع في دبي، وأن تعود في آخره إلى (الوصل)!

لن تتمكن من أن تكون أستاذ الفيزياء في دبي ومراداً العراف في الوصل.

لا يمكنك أن تعيش بين زمنين يا صاحبي.

أرجوك يا مراد دعنا نبحث عن زماننا الذي فقدناه، عن عصرنا الذي

جئنا منه، ماذا نفعل في هذا الزمن العاتي؟ لا شيء، ستنقضي أعمارنا ونحن نعيش في عصر لن نستفيد منه، ولن نفيده في شيء. صدقني.

يستغرق مراد في الصمت.

تنزل منه قطرات من الدموع.

مراد، جفف دموعك يا صاحبي، ثم فكّر في الأمر ملياً، إنني أكاد أنفجر شوقاً إلى أهلي وعصري.

يضع مراد يده على كتفه.

ـ كلامك صحيح وإن كان قاسياً.

ـ فلنحاول إذاً.

ـ كيف؟

ـ فلنذهب فى الغد إلى المكان الذي وجدنا فيه ذلك الأعرابي أول مرة، ربما نجد بارقة أمل.

ـ حسناً، ولكن.

ـ ولكن ماذا؟

إن كان ثمة طريق للرجوع ربما تعود بمفردك.

مراد!

ـ أنا.

ـ أنت ماذا؟

ـ لا أستطيع التخلي عن دباة.

ـ حسناً، هذا كلام سابق لأوانه، فلنبحث عن طريق للخلاص من هذ الزمن الغابر أولاً، ثم نتحدث في هذا الأمر بعد ذلك.

ـ حسناً، موافق.

ـ (بمرح) ربما تجد طريقةً ما للعيش بين زمنين! فتكون وقت ما تشاء في دبي أو (الوصل)!

ـ هاها، وما المانع؟ كل شيء ممكن في عصر الفيزياء.

ـ حسناً، فلنذهب للنوم يا أينشتاين عصر الوصل.

* * *

ينامان ساعات قليلة. يستيقظ فاضل فيوقظ مراداً على الفور. يتناولان وجبة الفطور بسرعة ويغادران المنزل باتجاه الخور، ويعلمان النوخذة ربيع بأنهما سوف يتغيّبان اليوم.

يبدآن بالبحث عن الرجل الذي شاهدهما أول مرة. يسألان عنه في المكان الذي تغادر منه القوافل إلى الصحراء.

يشاهدهما أحد أتباع الشيخ عجلان.

ـ مراد العراف وصديقه فاضل! ماذا تفعلان هنا؟

فاضل (بتعجب): هل أصبح مراد عرافاً حقاً؟

ـالكل يلقبه بذلك.

ـ مَنْ مثلك يا مراد فقد أصبحت حديث الناس.

يسأله مراد: هل تذكر الرجل الذي جئنا معه أول مرة؟

ـبالتأكيد.

ـأين هو؟

ـإنه مسافر الآن.

ـ أمر مؤسف.

ـ ماذا كنتما تريدان منه؟

فاضل : نريده أن يأخذنا إلى المكان الذي وجدنا فيه أول مرة.

ـ (باستغراب) ولماذا؟

ـ نريد الذهاب إلى هناك وحسب.

ـفإن ذهبتما الآن فمتى سوف تعودان؟

ـ قبل المغرب.

ـ حسناً انتظرا لحظة.

يذهب في شأنه، بينما ينتظرانه في قلق.

بعد نصف ساعة يأتي وبصحبته شخص من الذين يعملون في القوافل.

يبادرهما بالكلام: أنا أعرف المكان الذي تريدان الذهاب اليه.

مراد: حقاً!

ـ بالتأكيد ومستعد للذهاب معكما منذ الساعة.

ـ وكم تريد مقابل ذلك؟

ـ عشر ملويات، خمس للذهاب ، وخمس للعودة.

فاضل: موافقان، سندفع لك الآن خمس ملويات والباقي عند العودة.

ـ إذاً هيا بنا نبدأ رحلتنا على الفور.

يصعدون على ظهور الجمال ويبدؤون بالسير نحو المكان بعد أن يتزودوا بالماء والغذاء.

يقضون أكثر من ثلاث ساعات، وهم يسيرون متوغلين في أعماق الصحراء حتى يصلوا إلى المنطقة.

ـ هذه هي البقعة التي تقصدانها.

مراد: حسناً، ابقَ أنت هنا، سنتجول قليلاً في أنحائها.

ـ ولكن لا تتوغلا كثيراً لكيلا تضيعا.

فاضل: لا تقلق، سنكون حَذِرَيْن .

يبدآن بالتجوال.

يقطعان مسافة معتبرة.

ـ لا شيء سوى الهجير يا فاضل.

ـ يبدو ذلك.

يتطلع فاضل في الأرجاء، فيرى مرتفعاً ترابياً فيذهب إليه بغية تسلقه. بينما يستلقي مراد على الأرض في انتظاره.

يقف فاضل على قمته. ينظر في الآفاق في مختلف الاتجاهات. فجأة ينادي على مراد بأعلى صوته.

يهرع إليه مراد.

ـ ما بك يا فاضل؟

ـ لقد رأيته ... رأيته.

يقولها وقد انقطعت انفاسه.

ـ ماذا رأيت؟

ـ السيارة، أقصد حطامها، لقد شاهدته بأم عيني.

ـ أمتأكد أنت؟

ـ نعم، انظر في ذلك الاتجاه.

ينظر مراد فيشاهده.

ـ حقاً، إنه يبدو حطام سيارة.

يهرولان باتجاه الحطام ليصلا إليه بعد سعي حثيث.

ـ إنه حطام السيارة فعلاً، ولكن كيف وصل إلى هنا؟

يتلمسانه بأيديهما، ثم يحاولان البحث عن أية متعلقات شخصية لهما بداخله.

يستغرقان وقتاً وهما يبحثان دون جدوى.

لا يستسلم فاضل فينبش التراب باحثاً عن أية أغراض قد تكون دفنت تحت الرمال.

يستمر فاضل في البحث دون كلل، بينما يستلقي مراد داخل حطام السيارة.

ـهيا بنا يا فاضل لن نجد شيئاً.

ـ ولكن كيف وصل حطام السيارة إلى هنا؟

ـ لا شك أنها انتقلت معنا إلى هذا العصر.

ـ وماذا نفعل الآن؟

ـ علينا العودة.

ـ ولكن...

ـ أمامنا أكثر من ثلاث ساعات قادمة من السير.

يركل فاضل السيارة برجله، ويغادر مسرعاً.

ـ فاضل انتظرني!

يخرج مراد من حطام السيارة، ليلحق بفاضل إلا أنه يشعر بفقدان قدرته على الحراك.

ـ فاضل انتظرني، أنا لا أستطيع التحرك.

إلا أنّ فاضلاً كان قد ابتعد عنه.

يناديه بأعلى صوته.

يشعر مراد بأنه يغوص في أعماق الأرض. ينظر إلى أسفل، فيرى قدميه تنزلان للأسفل.

ـ يا إلهي!! إنها رمال متحركة!

يقطع فاضل مسافة، ثم يقف للراحة بانتظار مراد إلا أنه يلتفت، فلا يراه قد تحرك من مكانه.

يناديه مراد بأعلى صوته.

ينظر إليه فاضل، فيشاهده يغوص في الرمال وهو يستغيث.

ـيا إلهي مراد!!

يهرع إليه بأقصى سرعته. يفقد مراد قدرته على الكلام. يصل إليه فاضل. يمد له يده، ويحاول سحبه إلا أن جاذبية الرمال كانت أقوى ليغوص في أعماق الأرض. يصرخ فاضل صرخة مهولة منادياً صديقه بأعلى صوته.

* * *

يستلقي فاضل على الأرض والدموع تنهمر من عينيه. بكاؤه ونحيبه يصل إلى الآفاق.

ـ هل مات مراد حقاً؟ لا أصدق.

كيف أعود الآن من دونه؟

اللعنة علي، ما كان يحدث ذلك لو لم أجلبه أنا إلى هنا.

مراد سامحني يا صديقي، لم أكن أقصد.

يحاول الاقتراب من الموقع فيشاهد الرمال تتحرك.

ـ اللعنة، إنها رمال متحركة.

يقف. ينظر إلى السماء الزرقاء. يركض. يمرغ جسده بالتراب. ينادي بأعلى صوته:

مراد!

* * *

يفتح مراد عينيه. يجد نفسه في مغارة. ينفض التراب عن جسده.

ما الذي حدث لي؟ كيف جئت إلى هنا؟

يمشي بحذر. ينظر إلى الأعلى علّه يجد طريقاً للخروج إلا أنه لا يجد أي مخرج.

يمشي بهدوء. يشاهد مغارة أخرى. يتقدم نحوها. يتلصص على مدخلها، فلا يسمع أي صوت فيقرر دخولها.

يدخلها بخطى حذرة. يتطلع في أنحائها فتصيبه الدهشة الغامرة.

يشاهد مارداً ضخماً ممسكاً بخنجر، ودباة بين ذراعيه.

ـ يا ألطاف الله!! دباة. مستحيل!

يخاطبه المارد بصوت جهوري :

اقترب مني يا مراد. إنني آمرك.

يقترب منه بأنفاس لاهثة ورعب شديد.

دباة!

يشاهدها وهي تئن في خوف شديد.

ـ دباة!

ـلن تسمعك!

ـ لماذا؟ ماذا فعلت بها؟

ـ لم أفعل بها شيئاً، أنت من ستفعل.

ـ اتركها وشأنها.

ـألا تريد العودة إلى زمنك؟

يذهل مراد من سؤاله.

ـأجب!

ـ حقاً أريد ذلك، ولكن ما دخل دباة بالأمر؟

ـ اقتلها إذاً!

ـ (بخوف وانبهار) أقتل دباة!

ـ اقتلها يا مراد، وسوف تعود في الحال إلى زمنك وأهلك وحياتك.

ـ أقتلُ زوجتي وحبيبتي!!

ـ مراد، إنها وهم، حالما تعود إلى زمنك ستكون دباة امرأة ميتة، أنت تقتل ميتاً.

ـ كلا.. لا أستطيع.

ـ عدْ إلى عصرك واخرجْ من هذا الزمن العاتي.

ـ ما تقوله لا يمكن، الغاية لا تبرر الوسيلة أبداً.

يسمع مراد أنين دباة الممزوج بالخوف.

ـ اقتلها يا مراد، إنها تاريخ، إنها ماضٍ، إنها منتهية، لن تخسر شيئاً إن فعلت ذلك، إنك تقتل سراباً، تغرز الخنجر في جسد أصبح تراباً منذ مئات السنوات.

ـ ولكنها حية أمامي؟

ـ إنها وهم، خداع، كل من في هذا العصر الذي تعيشه أموات، سراب، أناس ليس لهم وجود.

ـ وإذا.....

ـ ما عليك سوى أن تطعنها بذلك الخنجر الموجود على ذلك الجدار، اطعنها طعنة واحدة وسوف تجد نفسك في شارع السبخة، لتنتهي معاناتك إلى الأبد.

ـ حقاً؟

ـ لا شك في ذلك ولا ريب.

يذهب مراد للجدار ويمسك بالخنجر ويدنو من دباة والمارد.

ينظر للمارد بعينيه المخيفتين ووجهه المكفهر، وينظر إلى دباة التي تبكي بهذيان وشرود.

ـ اطعنها بالخنجر يا مراد لتتخلص من عذاباتك إلى الأبد، اطعنها فأنت تطعن وهماً لا أكثر. اطعنها طعنة نجلاء لتتخلص من أوهامك العاتية إلى الأبد يا مراد.

يتصبب عرقاً. أنفاسه لاهثة. تقاسيم وجهه يسودها الرعب. عيناه تتحولان إلى جمرتين متقدتين.

ـ هيا ماذا تنتظر؟

يمسك الخنجر بحزم.

ـ حسناً سأفعل!

يتقدم بأقصى سرعته، ويضرب به المارد.

ينظر إليه المارد بعينيه الحمراوين المخيفتين. يتجمد المارد في مكانه.

يختفي هو ودباة من أمام ناظريه. تهتز الأرض بعنف. تنفتح له الأرض من أعلى. أرض المغامرة ترتفع به شيئاً فشيئاً لتعيده إلى السطح. يرى نفسه وقد أصبح في الصحراء مرة أخرى. يعاين السيارة والرمال تبتلعها حتى تتلاشى من أمامه.

ينظر في الأنحاء فيشاهد فاضلاً مستلقياً بعيداً يناديه بأعلى صوته إلا أنه لا يسمعه.

يركض إليه مسرعاً. يلمحه فاضل الذي لا يصدق أنه يراه مرة أخرى.

ينظر إليه بذهول. يركض بأقصى سرعة نحوه. يلتقيان ويتعانقان.

ـ مراد لا أصدق عيني، أأنت حي تزرق؟

ـ لقد رأيتك بأم عيني والرمال تبتلعك.

ـ حقاً هذا ما حدث، ولكن الرمال لم تبتلعني، بل سقطت إلى مغارة أرضية.

ـ يا إلهي!

يسمعان صوت الدليل وهو يناديهما.

يهرعان إليه.

ـ لقد قلقت عليكما كثيراً، فجئت باحثاً عنكما.

فاضل: لقد توغلنا في الصحراء قليلاً، ولكن كل شيء على ما يرام.

ـ حسناً، هيا بنا قبل أن تغرب الشمس.

يصعدون على الجمال، ويكرون إلى الوصل

* * *

يصلان إلى منزلهما، فينامان تواً من شدة التعب والإنهاك.

يستيقظ مراد في الصباح الباكر فيرى صديقه فاضلاً جالساً. ما إن يراه حتى يرحب به بكل حفاوة.

ـ أعلم ما تريد، تريد أن أقص عليك ما جرى لي.

ـ نعم أرجوك.

ـ حسناً سأفعل.

يقص عليه ما جرى له في المغارة تحت الأرض.

ـ ما جرى لك غريب جداً، بل إنه أغرب من كل خيال.

ـ إنني مثلك لا أكاد أصدق ما جرى لي، ولكن ما حدث لي قبله لا يقل غرابة عنه.

ـ ماذا؟ أَمَررتَ بتجربة مماثلة، ولم تخبرني؟

ـنعم.

ـ ولماذا؟

ـ لم أكن أريد أن ندخل في تشعبات وتعقيدات نحن في غنى عنها.

ـ بل كان يجب أن تخبرني، فأنا معك في حفرة واحدة.

ـ إذاً سأروي لك ما جرى لي عندما كنت أنا ودباة نصارع الأمواج.

يقص عليه رؤيته لخفر سواحل دبي.

رأيت خفر السواحل وظهرت لك دبي؟

نعم، ولكن كنت ما بين عصرين، خلفي كان عصر الوصل، وأمامي كان عصر دبي.

ـ أمر عجيب محيِّر، ولماذا لم تذهب معكم لتنتهي معاناتك؟

ـ وهل تراني أتركك أم تراني أترك دباة لمصيرها؟

ـ ولكن!

ـ ولكن ماذا؟ كانت دباة ستموت لو تركتها، ثم ماذا عنك أنت؟

ـ مراد، أنا متأكد أن ثمة طريقةً ما للعودة إلى عصرنا.

ـ وأنا كذلك.

ـ حسناً ما رأيك أن نتنزه غداً في الخور؟

ـ ولماذا؟

ـ فلنفعل ذلك وحسب، لعلنا نجد طريقةً ما؟

ـ حسناً، موافق.

يذهبان إلى العمل في مركب (النوخذة ربيع) ويعودان مساء. يعود فاضل للمنزل، بينما يذهب مراد لمنزل الشيخ عجلان للقاء دباة، إلا أنه يشاهدها وهي عائدة إلى منزلها بصحبة صديقاتها. ما إن تشاهده حتى تهرول إليه مسرعة.

ـ مراد أين كنت بالأمس؟

ـ لقد ذهبت إلى الصحراء.

ـ أذَهبتَ إلى المنطقة التي وجدت فيها أول أمرك بيننا؟

ـ وما أدراكِ؟

ـ أبي أخبرني، فلا شيء يخفى عليه في القرية.

ـ نعم هذا ما حدث.

ـ ولماذا ذهبت؟

ـ (بابتسامة) أظنك تستطيعين الإجابة.

ـ مراد من حقك العودة إلى زمنك، لست مجبراً على البقاء في هذا المكان الرتيب.

ـ دباة، سأبقى لأنني أحبك، ولأن هذه القرية وطني.

ـ حقاً؟

ـ حقاً يا عزيزتي، لقد ذهبت من أجل فاضل فقط.

ـ (بثغر باسم) مراد بالأمس حلمت بك حلماً غريباً.

ـ قُصّيه علي.

ـ لا، إنه مخيف.

ـ أرجوك احكيه لي.

ـ حسناً شاهدت كأني في مغارة أو ما شابه، وأن شخصاً غريباً ذا جثة ضخمة ممسكٌ بي وكأنه مارد.

يُصدَم مراد من كلامها، ويبدأ بمتابعتها باهتمام بالغ.

ـ أكملي أرجوك.

ـ مراد ما بك؟ إنه مجرد حلم.

ـ أكملي فقط ولا تسقطي أي حدث، ولو كان صغيراً.

ـ حسناً، ورأيت كأنك تقدمت نحوي وبيدك خنجر أو ما شابه و..

ـ وماذا؟

ـ وتريد طعني به.

يمسك بكتفيها بحزم.

ـ ثم ماذا؟

ـ مراد ماذا دهاك؟ إنك تؤلمني!

يكف يديه عنها.

ـ أنا آسف يا عزيزتي. أكملي.

ـ لا أتذكر بقية الأحداث جيداً ، كل الذي أذكره أنك وجهت الخنجر نحونا ، أي أنا والمارد واستيقظت من النوم.

ـ (بمرح) لا شك بأنني طعنت المارد.

ـ أتمنى ذلك!

ـ وهل تشكّين في ذلك؟

تنزل رأسها للأرض استحياء، بينما يراود مراداً سؤالٌ مهم.

ـ دباة.. متى حلمت بهذا الحلم؟

ـ وما أهمية ذلك؟

ـ أرجوك أخبريني.

ـ حسناً، أعتقد في العصر.

ـ العصر!

ـ نعم، ألا يحلم الناس في العصر؟

ـ بلى يحلمون وقد تكون أحلامهم حقيقية أيضاً.

ـ وهل هناك حلم خيالي وحلم حقيقي؟

ـ نعم، ثمة اختلاف.

يمسك يديها بحنان، وينظر إليها نظرة حب وإعجاب، ثم يستأذنها بالمغادرة.

يعود إلى المنزل، ويخبر فاضلاً بكل ما سمعه من دباة.

ـ كيف يمكن أن يحدث هذا؟

ـ إنني حائر مثلك.

ـ إنها الفيزياء، وهذا وقتك.

ـ حلم دباة يخرق كل حقائق ونظريات الفيزياء التي أعرفها.

ـ حاول.

ـ يبدو أن ثمة كائنات غير منظورة خطفت جسد دباة النجمي وأرسلته لتلك المغارة، وهذا ما يفسر رؤيتي لها بكل هذا الوضوح.

ـ هل رأيتها في المغارة كما تراها هنا؟

لم أتأكد من مستوى كثافة جسدها، ولكنها قطْعاً لم تكن في وضع طبيعي.

ـ ولكن كيف يمكن خطفها؟

ـ عندما ينام الإنسان فإنه يخرج من جسده المادي بجسده النجمي، ويتمكن من التجول في العوالم غير المنظورة بكل سهولة ومن دون أية عوائق، أظن أنّ ما حدث لدباة شيء من هذا القبيل.

ـ وهل يمكن أن يحدث هذا حقاً؟

ثمة نظريات في هذا الشأن تقول: إن الانسان له جسدان نجمي وترابي، وأثناء النوم يغادر الكثير من الناس أجسادهم الترابية ويصبحون واعين بمقدار ما بأجسادهم النجمية الروحية، وهو ما يفسر لنا كيف أن الأحلام في الكثير من الأحيان تنبئ عن المستقبل.

المهم ثمة نظرية تقول: إنه يمكن للإنسان أن يخرج بإرادته من جسده المادي وبكامل وعيه، وهو ما يسمى بالإسقاط النجمي، حينها يمكن له أن يسافر بين العوالم، بل ويصل إلى عالم البرزخ، حيث يعيش الأموات.

ـ وهل هناك إثباتات علمية على ذلك.

ـ ثمة ادعاءات مثبتة لا يمكن لأحد إنكارها، لأن لها امتدادات وآثاراً ملموسة.

ـ يا للهول! كنا نعتقد أنّ ما نراه ونسمعه ونشمه ونلمسه ونتذوقه هو فقط الحقيقة المطلقة، ولكن ثمة عوالم لا نراها، ولا نشعر بها رغم قربها منّا.

ـ بحوث الفيزياء أثبتت ذلك علمياً.

ـ حسناً، سنذهب في الغد للخور كما اتفقنا.

ـ سنذهب بكل تأكيد.

* * *

يأتي اليوم التالي سريعاً. ما إن يتناولان طعام الفطور حتى يذهبا إلى الخور ويستأذنا النوخذة ربيع بعدم العمل في هذا اليوم.

يمشيان على طول الساحل.

ـ قل لي يا مراد في أي بقعة من دبي نحن الآن؟

ـ أظننا في ديرة.

ـ أين نحن بالتحديد؟

ـ لا أستطيع التخمين، ولكن أظن أننا في ميناء الخور.

الهواء العليل يضرب بقوة على وجهيهما.

مراد: يا لهذا الهواء العليل!

ـ لو كنا في دبي المعاصرة لما كان هكذا.

ـ حقاً، فالمباني وعوادم المركبات وأجهزة التكييف تسبب ارتفاعَ درجات الحرارة وتغيّر المناخ. .

ـ مراد! هلّا وصفت لنا دبي ونحن في هذا الخلاء!

ـ هاهاه، حسناً. نحن الآن في كورنيش الخور وميناءه، ونحن في ديرة، هناك جسر المكتوم، وفي الجهة المقابلة «بر دبي» وسوقها العتيق.

ـ إذاً شارع السبخة قريب.

ـ أظنه على بعد أمتار فقط.

ـ يبدو أن كلامك صحيح، فخلف هذه البقعة الصحراوية ساحل بحر آخر، وهي التي سوف تبنى عليها منطقة ديرة التي في آخرها من هذه الناحية سوق السمك ونفق (الشندغة).

يتجولان كثيراً على أمل أن يمرّا بحدث يتمكنان من خلاله العودة إلى عصرهما.

يستمران عدة ساعات في المشي والتجوال دون فائدة.

ـ فاضل أظن أن علينا أن نعود أدراجنا.

ـ يبدو ذلك، فنحن هنا نضيع وقتنا من دون فائدة.

ـ هيا بنا إذاً.

يلقي مراد نظرة أخيرة على الخور، ثم يشيح بوجه نحو الصحراء.

ـ ياه! ما أشد ذكاء الإنسان وما أروعه من كائن، كيف حوّل هذه الصحراء إلى مدن تعجُّ بالحياة؟

فجأة تبدأ الشمس بالتواري.

مراد: أمر عجيب! الشمس تحجب بضباب كثيف!

فاضل: ضباب في الصحراء وفي منتصف النهار؟

هيا بنا نغادر بسرعة.

إلا أن الضباب يداهمهما ويملأ المكان ويحجب الرؤية.

فاضل: يا إلهي إن الأمر مريب.

مراد: لا تقلق، إنه مجرد ضباب عابر، علينا التوقف وعدم السير وسنكون بخير.

إلا أن الضباب يزداد كثافة حتى يحجب عنهما رؤية كل شيء.

يستلقيان بانتظار انقشاع الضباب.

يغفو مراد بينما، يظل فاضل مستيقظاً. فجأة يسمع فاضل أصوات مارة وسيارات.

ماذا أسمع؟

مراد استيقظ.

يستيقظ مراد.

ـ ما بك؟ لماذا أيقظتني؟

ـ ألا تسمع، إنها أبواق السيارات!

يحاول مراد التركيز، فيسمع أصوات سير السيارات وأبواقها وطرادات الزوارق وكلاماً غير واضح.

مراد: ما الذي يحدث؟

ينقشع الضباب بسرعة، فيشاهدان نفسيهما في كورنيش الخور والناس يسيرون في كل اتجاه.

ـ مستحيل!

ـ إنه كورنيش الديرة يا مراد!

ينظر له مراد مليّاً.

ـ حقاً إنه كذلك.

يتعانقان فرحاً وابتهاجاً.

مراد: دبي إنها دبي يا فاضل!

يضحك فاضل من أعماقه، بينما تنهمر من مراد الدموع.

ـ لقد عدنا إلى عصرنا يا مراد.

لقد زال أخيراً الكابوس الذي كنا نعيشه.

يشاهدان الناس وهم يمشون على كورنيش الخور، يشاهدان العمال والسفن السياحية والسياح يسجلون في رحلاتها التي تنطلق الساعة الثامنة والنصف من كل ليلة. ينظران إلى شارع

الخور وهو مزدحم بالسيارات على عادته، والمشاة واقفون عند إشارة شارع السبخة.

ـ انظر يا مراد، إنه شارع السبخة.

أراه كما كنت أراه دائماً، ازدحامه لا ينقطع، كيف لا وهو قلب سوق ديرة.

تلك المتاجر هناك، لا زلت أذكرها، انظر ما تزال تعجّ بالمتسوقين كالعادة.

يتعانقان مرة أخرى.

مراد: لقد عدنا إلى عصرنا، إلى أهلنا.

ـ الحمد لله، والآن هيا بنا.

ـ إلى أين؟

ـ سأعزمك على مشروب (الكوكاكولا) الذي تحبه.

ـ ياه!! لم أتذوقه منذ زمن بعيد!

ـ الآن ستشربه دون سكر!

ـ ولكننا لا نملك المال.

ـ لا عليك سندفع لاحقاً!

يتجهان نحو (البوفيه).

مراد: هذا (البوفيه) على ماجرت العادة مزدحم بالزبائن طوال الوقت.

ـ إن موقعه استراتيجي، إذ إنه قريب من الميناء ومرفأ القوارب والكورنيش في آن واحد.

يسبق فاضل مراداً، ويقف أمام شباك (البوفيه).

ـ لو سمحت أعطني علبتيْ (كوكاكولا)، الثانية دون سكر.

إلا أن العامل كان يتحدث مع أحد الزبائن.

يبدو أنه لم يسمعني، أنت أيها العامل التفت إليّ رجاءً.

العامل لا يجيبه.

يصل مراد.

ـ فاضل، سبقتني ورغم ذلك لم تطلب حتى الآن.

ـ لقد طلبت، ولكن العامل لم يسمعني.

ـ لم يسمعك! يبدو أنك لم تعد تذكر كيف تُكلِّم العمال الوافدين.

يلتفت فاضل للعامل مرة أخرى وقد بدا عليه الغضب.

ـأنت أيها العامل ألا تسمعني؟

إلا أن العامل لا يسمعه.

يتابع مراد الموقف، وقد بدا عليه القلق.

ـ يا له من عامل غريب الأطوار! كيف سمِح له بالعمل وهو لا يسمع!

فاضل انتظر، يبدو أن في الأمر سراً مهولاً!

ـ ماذا تعني!

يأتي أحد الزبائن.

يحاول مراد التحدث معه، ولكنه لا يلتفت إليه.

ثم يحاول التحدث مع عامل (البوفيه) فلا يجيبه هو الآخر.

ـ مراد ما الذي يحدث؟

يلتفت إليه مراد بقلق.

ـ إنهم لا يسمعوننا ولا يروننا!

ـ ماذا! ... مستحيل!

ـ هذه هي الحقيقة.

ـ أي حقيقة يا رجل، إنك تبالغ، هيا بنا.

ـإلى أين؟

ـ إلى شارع السبخة.

حسناً هيا بنا.

يذهبان إلى شارع الخور. ينتظران مع المشاة فتح الإشارة.

ـ انظر كل شيء طبيعي، ونحن في عصرنا.

ـ قد يكون العامل والزبون من ذوي الاحتياجات الخاصة أو ما شابه.

ـ بل هما كذلك.

تفتح الإشارة. يبدأ المشاة بالمرور ومعهما مراد وفاضل، إلا أنهما يصطدمان بحاجز غير مرئي بينما يقطع الجميع الإشارة.

يصعقهما الحاجز، فيسقطان على الأرض.

فاضل: يا إلهي ما الذي يحدث؟

ما الذي اصطدمنا به؟

ـ يبدو أنه حاجز غير منظور.

ـ كلام فارغ، سأقطع هذه الإشارة اللعينة الآن.

ـ انتظر يا فاضل.

ـاسكت!

يسير فاضل بسرعة متجاوزاً خط المشاة والإشارة الضوئية الحمراء، إلا أنه يصطدم بالحاجز مرة أخرى فيخرُّ على الأرض.

يهرع إليه مراد ويعيده إلى الكورنيش وهما في غاية الإنهاك والنصَب.

ـ ما الذي يحدث؟

ـ أظن أننا عالقان في حاجز زمني.

ـ كيف؟

ـ إننا نرى عصرنا، ولكننا لسنا فيه على الحقيقة.

ـ لم أفهم.

ـ أتذكر عرض مدينة المستقبل الذي ذهبنا إليه قبل ليلة من العاصفة؟

ـ أذكر.

ـ أو لم يكن يبدو كل شيء حقيقياً أمام ناظرينا، ولكنه لم يكن سوى خدَعٍ بصرية متقنة؟

ـ نعم، كان كذلك.

ـ إننا الآن أمام شيء مشابه.

ولكن كل شيء هنا حقيقي، وهؤلاء الناس حقيقة.

إننا نراهم ولكنهم لا يروننا، نحن نرى عصرنا، ولكننا لا نعيش فيه، إننا عالقون في حاجز زمني.

ـ وكيف ذلك؟

ـ بحسب دراستي للفيزياء، فإن ثمة نظريات تؤكد أن العالم الذي نعيش فيه ليس مستقلاً بذاته، بل هو جزء من الكون الذي يحتويه، والكون عبارة عن عوالم متداخلة قريب بعضها من بعض، يفصل كلاً منها حاجز، وترتبط ببوابات عبور، ونحن الآن عالقون في منطقة الحاجز التي تفصل ما بين عصرنا والعصر الذي نُقِلنا إليه بفعل قوة نجهلها.

ـ مراد أنا متعب، ولا يمكنني استيعاب كل ما تقوله، ولكن أعتقد أنك تريد أن تقول: إننا الآن أسرى حاجز زمني يفصلنا عن زمننا الذي ننتمي إليه. ووجودنا فيه هو ما يمنع الآخرين من رؤيتنا وسماعنا.

وتريد أن تقول: إن ما يفصل بين عصرنا وعصر (الوصل) هو حاجز أيضاً.

ـ بالضبط، ولو تمكنا من اكتشاف منفذ للعبور، سواء من منطقة هذا الحاجز، أو من زمن الوصل إلى زمننا، فسنجد أنفسنا في عصرنا.

ـ حسناً، اسمعني، سأجرب الذهاب إلى بر دبي بالقارب.

ـ لا أظن أن منطقة الحاجز الزمني تشملها.

ـ لن أظل أسير هذه المنطقة اللعينة.

يمضي فاضل إلى مكان القوارب. يحاول صعود أحدها إلا أنه يصطدم بالحاجز مرة أخرى. يلحقه مراد ويأخذ بيده.

ـ فاضل هل أنت بخير؟

ـ إنها صعقة كهربائية.

إن تعرضتَ لها أكثر من مرة فقد يؤدي إلى إصابتك بنوبة قلبية قاتلة.

ـ اللعنة!

ـ فلنهدأ ولنرتَحْ قليلاً.

يرتاحان حتى غروب الشمس.

يستعيدان نشاطهما.

ـ ما الذي سنفعله الآن؟ من الواضح أننا محصوران في هذا الحاجز الزمني الذي تكلمت عنه.

ـ لا أعرف، ولكننا إضافة إلى ذلك نتضور جوعاً وعطشاً، وإن ظللنا هنا سنموت دون شك.

ـ يا إلهي!

ـ فلنتجول قليلاً.

يمشيان بهدوء. يشاهدان الناس على كورنيش الخور وهم يتنزهون. يلفت نظر فاضل أحد العمال الهنود وهو جالس يمارس رياضة اليوغا.

ينظران إليه بابتسامة، ويدنوان منه ويحاولان التحدث معه دون جدوى.

يشاهدان مجموعة من الناس وهم يلعبون الكرة الطائرة. يجلسان قليلاً بمحاذاة الميناء ويتأملان المراكب والسفن الغادية والرائحة في الخور.

فاضل: عمار يا دبي!

مراد: ما رأيك أن نبقى هنا؟

ـ أفضّلُ البقاء هنا على العودة للصحراء والبادية.

يُغيّر فاضل اتجاهه، وينظر إلى مرتادي كورنيش الخور مرة أخرى.

يشاهد فاضل امرأة يعرفها.

ـ مراد انظر إنها الأستاذة مفيدة!

ـ يا للعجب، فعلاً إنها هي!

يقتربان منها.

يشاهدانها وهي تقطع تذاكر الصعود في سفينة سياحية.

فاضل: هاها، أظنها ستذهب مع زوجها الجديد!

ـ أما زالت تتزوج حتى الآن!

ـ هذا هو ديدنها! تتزوج وتنفصل! يبدو أنها حصلت على زوج جديد، وتريد الذهاب معه في رحلة بحرية.

ـ يا لها من امرأة غريبة. هاهاها!!

يقترب منها فاضل. يحاول التحدث معها، ولكنها لا تشعر بوجوده.

ينظر إليها وإلى وجهها المتصلب بمرح. يحاول لمس نظارتها.

ـ فاضل لا تفعل.

ما إن يلمسها حتى يشعر بصعقة كهربائية مرة أخرى.

يتراجع ويسقط أرضاً.

ـ فاضل ألم أقل لك لا تفعل؟

ـ لم تقل لي إن هذا يسري في كل مَن حولنا حتى البشر!

ـ ها أنت قد علمت الآن، لا تحاول لمس شيء إطلاقاً، أي صعقة أخرى قد تقتلك.

يفترشان الأرض، ويجلسان بالقرب من إحدى السفن. ينظران إلى الناس الغادين والرائحين حتى يداهمهما الليل.

فاضل: يا لهذا الوضع المقلوب الرهيب! نحن في زمننا، ولكنْ حاجزٌ لا نعرف ماهيته يفصلنا عنه.

مراد: إننا كمن فقد حواسه الخمس، فلا يستطيع الاتصال بأي شيء.

فجأة يداهمهما الضباب الكثيف مرة أخرى.

ـ مراد إنه الضباب مرة أخرى!

ـ يا له من ضباب مهول! إنني أكاد أفقد القدرة على رؤيتك.

يملأ الضباب الأرجاء، فلا يكادان يريان جسديهما.

يستمر مدة من الزمن، وهما جالسان بحذر شديد حتى يبدأ بالانقشاع.

يشاهدان نفسيهما مرة أخرى وهما على ضفاف الخور وقد جن الليل، وعادا إلى زمن الوصل مرة أخرى.

فاضل: يا إلهي! لقد عدنا إلى الوصل.

يتنهد مراد بألم ولوعة.

ـ نعم عدنا إلى الوصل القرية الوادعة، إلى الصحراء والبادية، إلى زمن لا ننتمي إليه ولكننا ننتمي إلى ما فيه.

فاضل: (بحزن) هيا بنا إلى المنزل يا مراد، فالليل في الوصل ليس كليل دبي.

يمضيان إلى منزلهما، ليستمر القدر في كتابة أحداث حياتهما في عصر الوصل.

## البرج

يستسلم مراد وفاضل للأمر الواقع. يقضيان أيامهما في قرية الوصل الوادعة الهادئة، من الصباح حتى العصر، يعملان عند النوخذة ربيع في الغوص وصيد الأسماك بالقرب من الخور، ويتدربان استعداداً للعمل في موسم الغوص القادم في فصل الصيف.

وعند الغروب يجالس مراد دباة، ثم يقضي بقية الوقت مع فاضل في مجلس الشيخ عجلان العامر.

يتحادثان.

ـ مراد ما رأيك أن أذهب إلى أنحاء أبوظبي أو رأس الخيمة؟

ـ هاها وماذا ستفعل هناك؟

ـ لعلي أجد مخرجاً ما.

ـ لن تجد سوى برد الصحراء القارس يا عزيزي، يفصلنا عن أول استيطان لتلك المناطق مائة وخمسون عاماً على الأقل.

ـ رباه! في أي قرن نحن؟

ـ أظن أننا في القرن الخامس عشر الميلادي.

ـ يا للمصيبة!

ـ استمتع بوقتك واستفد منه وكفى.

ـ حتماً، عقدت قرانك على دباة، وأصبحت مشهوراً بين الناس.

ـ هاها، إننا في (الوصل) يا عزيزي، ولسنا في بغداد أو الشام.

ـ لا إنترنت، ولا هاتف ذكي، ولا ساعة ذكية، ولا حتى كتاب يقرؤه المرء.

ـ أؤيدك في ذلك، فخير جليس في الزمان كتاب، كما قال المتنبي.

ـ يا لهذا الملل!

ـ ما رأيك يا فاضل أن نذهب إلى بغداد أو دمشق؟

ـ ياه! فرصة عظيمة لا تعوض، سنرى بغداد ودمشق بل حتى القاهرة في عصر يسبقنا بستمائة سنة!

ـ إنها فرصة عظيمة حقاً، أن تعيش الماضي بكل تجلياته وأحداثه ووقائعه.

ـ هذ يعني أننا قد نلتقي بشخصيات تاريخية مشهورة.

ـ هذا يتوقف على العصر الذي عاشت فيه، نحن لسنا في عصر النهضة العربية التي درسنا عنه في التاريخ، ولكنْ قطعاً ثمةَ شخصيات مهمة في هذا العصر.

ـ سنتمكن من اقتناء الكتب وبضائع أخرى، ونأتي بها إلى هنا.

ـ فكرة أكثر من رائعة، ما دمنا في هذا الزمن، فعلينا أن نتعرف إليه معرفة شاملة، وقطْعاً بغداد ودمشق والقاهرة تعتبر بمثابة مدن كبرى وحواضر علمية بارزة.

ولكن علينا أن نسافر إليها في الصيف وليس الآن، فالطقس الآن بارد جداً.

ـ حسناً ما رأيك أن نذهب إلى دولة النبهانيين في عمان.

ـ فكرة جميلة أخرى منك عزيزي فاضل، ستكون رحلة رائعة، سنتمكن من زيارة مسقط ونزوى والكثير من مناطق عمان في عصر كلاسيكي حالم.

يتفقان على ذلك، يحاول فاضل التكيف مع حياة القرية الرتيبة، إلا أن الملل يغالبه، بينما يستمتع مراد بوجود دباة معه، إلا أن الحنين لعصره يراوده وينغّص عليه في الكثير من الأحيان.

يخرجان بعد ليلة بهيجة قضياها في مجلس الشيخ عجلان.

فاضل: لقد اشتد البرد حقاً.

مراد: لقد دخلنا موسم الشتاء.

ـ الشتاء دافئ في دبي، بينما هنا شديد البرودة.

ـ دبي مدينة كبيرة، العمارات، وناطحات السحاب، ومخلفات التقنية، والتلوث، تخفف من قسوة البرد، بينما في الوصل نعيش حياة فطرية تماماً.

يسيران في أزقة القرية الصغيرة. يلمح فاضل برجاً.

ـ مراد توقف قليلاً.

ـ ما بك؟

ينظر إلى الاتجاه الذي شاهده منه.

ينتابه العجب.

ـ ما بك؟

ـ انظر!

ـ مستحيل! إنه برج.

ينظر أحدهما إلى الآخر بتعجب. يذهبان باتجاهه على الفور. يخرجان من القرية فيشاهدانه على بعد ميل.

فاضل: إنه بعيد.

ـ لا بدّ من الذهاب إليه.

ـ ولكننا بذلك سنقطع الصحراء.

ـ لا يهم، لعل في ذلك خلاصنا.

يهمان في السير نحوه. بعد أكثر من ساعة من السير بين رمال الصحراء يصلان إليه.

فاضل: يا للهول!

مراد: برج وسط الصحراء!

كيف يكون هذا؟

يدنوان منه. يحاولان إيجاد بوابة لدخوله فيعثران عليها إلا أنها مغلقة.

مراد: إنه مُضاءٌ.

ـ كيف تصله الكهرباء يا ترى؟

ـ لا شك أنه ليس من هذا العصر.

ـ فكيف نراه نحن إذاً؟

ـ أظن لأننا نعيش في زمن ليس بزمننا، لذلك نرى في بعض الأحيان بعض معالم عصرنا الذي جئنا منه.

ـ وماذا نفعل الآن؟

ـ لا بد أن نصل للبوابة التي تخرجنا من هذا الزمن إلى زمننا، لا بدّ من إيجاد طريقة للانتقال من الوصل إلى دبي، ومن ثم إغلاق البوابة إلى الأبد.

ـ وكيف ذلك؟

ـ لا أعرف، ولكن بالتأكيد ثمة طريقةٌ ما.

وماذا سنفعل الآن؟

ـ علينا الانتظار، لا نملك غير هذا.

ينتظران طوال الليل في الجو البارد، يهل الصبح والبرج على حاله.

يدوران حوله مرة أخرى من دون جدوى.

فاضل: هيا بنا نغادر المكان.

ـ انتظر قليلاً.

ـ لا فائدة من البقاء هنا ، أظن أن هذا البرج ليس سوى صورة قادمة من المستقبل.

ـربما.

يهمان بالمغادرة إلا أن البوابة تفتح، فيهرعان نحوها على الفور.

يخرج من البوابة أحد الحراس.

ـ مرحباً بكما.

ينظران إليه باستغراب.

ـ هل من خدمة أسديها لكما؟

يلوذان بالصمت.

يقترب منهما، وينظر إلى ملابسهما.

ـ ما هذه الملابس الغريبة التي ترتديانها؟

يتجاهلان سؤاله.

ـ حسناً، ماذا تريدان الآن؟

يجيبه مراد: هل نستطيع الدخول؟

ـ لأي غرض؟ فهذا البرج مليء بالشقق السكنية، ومقر لعدد كبير من الشركات، ولا يسمح لأحد بالدخول إلا بعد تسجيل بياناته والغرض من الزيارة.

ـ حسناً، شكراً لك.

يبتعدان عن البوابة.

ـ فاضل، علينا إيجاد طريقة ما للدخول.

ـ ولكن كيف؟

ـ سنغافل الحراس وندخل.

ينتظران لحظة من الزمن. يتناقص عدد الحراس. يشاهدان الحراس وقد انشغلوا بتناول طعام الفطور.

يغافلونهم ويدخلان. يستخدمان المصعد الكهربائي. يضغطان على رقم الطابق العاشر فيذهب بهما سريعاً. يخرجان من المصعد فيشاهدان نفسيهما في طابق به عدد من الشقق والشركات.

يبحث فاضل عن فرصة ما، بينما يتجه مراد نحو الإطلالة الزجاجية ليشاهد دبي من الأعلى.

ـ فاضل تعال حالاً.

يهرع إليه مسرعاً.

فاضل: مستحيل!

مراد: بل فوق المستحيل.

انظر جيداً، إننا نرى دبي من الأعلى، ولكن في الأسفل ليس سوى الوصل.

ـ يا إلهي! وماذا يعني ذلك؟

ـ أكاد أُجَنُّ، لم أعد أستطيع التفكير.

ـ لربما بصعودنا للبرج عدنا إلى عصرنا.

ـ أتمنى ذلك.

ولكني أشعر بأمر غريب.

ـ ما هو؟

ـ دبي متغيرة عما عهدتها عليه، انظر ذلك البرج هناك، إنه أعلى من برج خليفة.

ـ حقاً كلامك صحيح.

ـ وانظر إلى تلك القناة المائية هناك.

ـ حقاً لم تكن موجودة أيضاً.

ـ ألاحظ أن هناك عدداً من الأبراج وناطحات السحاب والجسور قد بنيت.

ـ ذلك البرج يفوق برج خليفة علواً؟ متى بُنِي يا ترى؟

ـ انظر إلى السيارات.

ـ يا إلهي! إنها مختلفة عن السيارات التي عهدناها.

يلمح فاضل طائرة على شكل سيارة تطير في السماء.

ـ انظر يا مراد إلى تلك الطائرة الصغيرة، إنها تشبه السيارة.

ـ أظن أنها سيارة الأجرة الطائرة.

ـ وما هي بالضبط؟

ـ إنها طائرة وسيارة في آن واحد، تستخدم لنقل الركاب.

ـ تذكرت، لقد قرأت عنها سابقاً، ولكنها كانت في طور التجارب، متى دخلت الخدمة؟

ـ ياه!

ـ ماذا؟

ـ انظر إلى ذلك القطار، إنه يسير بسرعة هائلة.

ـ حقاً لم يكن موجوداً سابقاً.

يكلّمهما شخص.

ـ أنتما!

يلتفتان إليه.

ـ ماذا تفعلان هنا؟

مراد باضطراب:

نحن جئنا لمقابلة...

ـ مقابلة من؟ وما هذه الملابس الغريبة التي ترتديانها؟

يتلعثم مراد، بينما تظهر على فاضل علامات الخوف.

يمسك الرجل بهاتفه المحمول، ويتصل بأمن البرج.

يباغته فاضل وسط ذهول مراد، ويلقي الهاتف من يده ويمسك به.

ـ أنت.. ماذا تريد أن تفعل؟

ـ هدئ من روعك، وأدخلنا إلى شقتك بسرعة وإلا...

ـ حسناً، سأفعل ولكن أرجوك ألا تؤذيني.

يستسلم الرجل لهما، ويدخلهما شقته وهو في غاية الخوف.

يجلسه فاضل على الكنبة، وقد بدا عليه الرعب.

ـ فاضل. ماذا فعلت؟

ـ كانت هذه هي الطريقة الوحيدة.

يخاطبهما الرجل قائلاً:

ماذا تريدان مني؟

مراد: لا تقلق، لن نؤذيك.

فاضل: إلا إذا أجبرتنا على ذلك!

ـ أرجوكما اخرجا من شقتي.

فاضل: اهدأ، لا نبغي شراً.

يمسك فاضل بهاتفه المتحرك.

ـ انظر يا مراد إنه هاتف متطور جداً.

ـ فعلاً إنه يختلف تماماً عن الذي عهدناه.

وانظر إلى هذه الشقة، كل ما فيها يبدو مختلفاً كثيراً عما نعرفه.

ينظر مراد لجهاز التكييف بانبهار، ثم يعاين بقية الأجهزة بشغف.

ـ حقاً الأجهزة المنزلية وشاشات التلفزيون والكنبات والأريكات لا تنتمي إلى عصرنا.

يتفحصها مراد أكثر.

ـ عجيب جداً.

ـ ما الأمر؟

ـ الأجهزة الكهربائية لا تعمل بالأسلاك، بل بواسطة شبكة كهربائية لاسلكية.

ـ حقاً! هل وصلت التقنية إلى هذا المستوى من التقدم؟

ـ بل وستصل إلى أبعد من ذلك إن لم تقع حرب تدمّر كل شيء.

يلتفت مراد للرجل.

ـ قل لي أرجوك نحن في أي سنة؟

ينظر إليه بذهول.

ـ يبدو أنكما مجنونان وهاربان من المشفى؟

فاضل: كلا، لسنا كذلك.

ـ إذاً من أنتما وما شأنكما؟

مراد: أرجوك أخبرني نحن في أي سنة؟

ـ نحن في عام 2030 .

مراد ـ فاضل (بذهول)

ـ 2030!!

ـ نعم.

فاضل: مستحيل، لا يمكن.

مراد: لقد انتقلنا إلى المستقبل!

غادرنا عصرنا ونحن في عام 2016 ونحن الآن في 2030 ، كيف ذلك؟

يستمع لهما الرجل بإنصات مشوب بخوف.

ـ أنتما بماذا تهذيان؟

يستلقي مراد بقربه.

ـ سيدي نحن آسِفَان عن أي إزعاج سبّبناه لك، ولكننا في ورطة عظيمة.

ـ أخبراني ما هي، فقد أستطيع مساعدتكما.

ـ نحن لسنا من هذه السنة التي تعيش فيها ، نحن في عام 2016.

يضحك الرجل ضحكة شديدة.

ـ أنتما مجنونان دون شك.

فاضل (بحزم): بل هذه هي الحقيقة.

ـ حقيقة ماذا؟ أنكما جئتما من ماضٍ يسبقني بخمسة عشر عاماً.

ـنعم.

ـ ومن سيصدق هذا الكلام؟

مراد: بالتأكيد لا أحد.

فاضل: ولكن كيف يمكن أن يحدث هذا؟

ـ بعض الفيزيائيين يقولون: «إن الماضي والحاضر والمستقبل موجودة فعلاً وحقيقة ، كل ما في الأمر أننا نعيش في منطقة زمنية محددة لا نستطيع تجاوزها، لأننا كائنات غير قادرة على اختراق

الزمان والمكان والأبعاد والقوانين التي تحكمنا، لذلك لا نستطيع العودة إلى الماضي ولا الذهاب إلى المستقبل ، وإلا فإن الماضي لم يمت، والمستقبل موجود كوجود الحاضر الذي نحياه وندركه».

ـ مجرد فرضيات.

ـ إنها كذلك بالفعل.

يلتفت إليهما الرجل قائلاً: والآن ماذا تريدان مني؟ أرجوكما اخرجا من شقتي.

يجيبه فاضل: حسناً، نحن لا نريد منك شيئاً.

ثم يلتفت إلى مراد.

ـ ماذا سنفعل الآن؟

ـ فلنخرج، لا نريد أن نسبب لهذا الرجل أي أذى.

يهمان بالمغادرة...

يقدم مراد اعتذاره للرجل، بينما ينشغل فاضل بتفحص هاتفه الجوال الذي أصبح

ـ سمكه كسمك الورق قابلاً للطي، ويعمل بالطاقة الضوئية وبشاشة افتراضية في الهواء.

بينما يحاول مراد الاعتذار للرجل.

ـ حسناً أنتما سببتما لي إزعاجاً منقطع النظير هذا اليوم، سأقبل اعتذاركما على أن تغادرا الآن، وألا أراكما هنا أبداً.

مراد: اطمئن، فنحن مسجونان في زمن بعيد لا أظن بأننا سنخرج منه بسهولة.

يخرج مراد وفاضل من الشقة بسرعة، إلا أنهما ما إن يطآن عتبة الباب حتى يشاهدا

ـ مجموعة من رجال الأمن في انتظارهما.

ـاقبضوا عليهما، لقد دخلا البرج دون تصريح.

يفرّان منهم بأقصى سرعتهما.

فاضل: يجب علينا النزول إلى الأسفل.

يركضان بأقصى سرعة إلا أن رجال الأمن يحاصرونهما.

ينظر لهما رئيس الأمن بعينين متوقِّدتين ووجه غشوم.

ـ أتظنان أنكما قادران على التسلل بهذه السهولة؟ ألا تعلمان أن كاميرات المراقبة الدقيقة تستطيع رصد حتى الحشرات.

مراد: حسناً سلمنا إلى الشرطة، فنحن لن نقاومكم.

ـ هذا ما فعلته، لقد أبلغت الشرطة وهي قادمة الآن، وسوف أسلّمهم مشاهد تسلُّلِكما للبرج لإثباث جريمتكما، وإن قمتما بأي فعل مخالف للقانون داخل البرج فسوف تحسب عليكما جريمة أخرى.

فجأة يبدأ رجال الأمن بالاختفاء من أمام ناظريهما.

فاضل: يا إلهي إنهم يختفون.

بينما على الجانب الآخر يشاهد رجال الأمن مراداً وفاضلاً وهما يختفيان شيئاً فشيئاً.

أحد رجال الأمن: رباه إنهما يختفيان!

لحظات ويختفيان عن أعينهم تماماً.

فاضل: كيف هذا؟

مراد: إنه أمر غريب حقاً.

فجأة تبدأ أجزاء البرج بالاختفاء.

فاضل: يا إلهي إن الوضع خطير.

ـ هيا بنا نخرج من هنا بسرعة قبل أن نجد أنفسنا بعيدين عن سطح الأرض فنسقط سقوطاً قاتلاً.

يجريان بأقصى سرعتهما نحو الطابق الأسفل.

يسابقان اختفاء أجزاء البرج.

كلما مرّا من سلم اختفى.

يسابقان السلالم التي تختفي بسرعة كبيرة. يصلان إلى الطابق الأرضي إلا أن سلالمه اختفت.

يقفان من هول الموقف. يستمر اختفاء أجزاء البرج حتى يصل إلى المكان الذي يقفان فيه.

ينظرأحدهما إلى الآخر في خوف. يختفي المكان الذي يقفان عليه، فيقعان على الأرض على كومة من الرمال.

ينهض مراد فلا يرى سوى الصحراء.

ينظر إلى فاضل الذي بدأت عليه الدهشة ثم يضحكان.

مراد: يا لها من مغامرة رهيبة!

فاضل: أيعقل ما جرى لنا؟

ـ عندما كنا في أمريكا درست في إحدى المواد فصلاً عن الظواهر اللاماورائية والمناقضة لقوانين الطبيعة، ومنها السفر نحو المستقبل.

ـ أحقاً يمكن الذهاب إلى المستقبل؟

ـ الكتب تعج بحوادث لأناس شاهدوا المستقبل لحظات، سواء بالحلم أو في اليقظة، وتحقق ما ادعوه بعد سنوات أو حتى عقود.

لم أكن لأصدق مثل هذا الهراء لولا أنني جربته.

كان موقفاً رهيباً حقاً، ولولا نزولنا بسرعة لهلكنا دون شك.

وأظن أن رجال الأمن رأونا نختفي مثلما رأيناهم يختفون.

ـ لا شك في ذلك.

يا للهول!! التقينا بأشخاص من المستقبل، والآن نعود لنعيش بين أناس من الماضي!

ـ أنا متأكد يا فاضل أن ثمة بوابةً ما بين الزمنين، علينا فقط اكتشافها لنتحرر من هذا المأزق الفظيع.

يعودان إلى قرية الوصل، والأمل يحدوهما للوصول إلى طريقة ما توصلهما إلى عصرهما الذي فقداه.

## سرعة العقل

يعود مراد وفاضل إلى منزلهما وهما في غاية الإنهاك والتعب. لا يلبثان أن يناما من فرط الإرهاق، إلا أن مراداً كان له موعد مع المجهول ليس له أن يخلفه.

يستيقظ فيرى جسده ممدداً وهو في قمة وعيه.

ـ يا ألطاف الله! هل مت؟ هل هذا هو الموت؟

يشعر بتغير مفاجئ في المكان. ما يلبث أن يجد نفسه في شارع السبخة.

ـ مستحيل شارع السبخة!

يمشي فيه بسرور. ينظر إلى المارة والسائحين بكل سعادة.

يدخل إلى أحد المتاجر ويسأل عن أسعار بعض السلع.

ـ مستحيل، لقد عدت فعلاً إلى عصري وزمني ومكاني، كيف ذلك؟ ما الذي يحدث؟

ـ إنني في وعي تام، لا يمكن أن يكون هذا حلماً.

يسمع صوتاً غريباً.

ـ مراد أنت لست في حلم، بل في حقيقة تامة ومطلقة.

ـ من أنت؟ من الذي يتحدث معي ولا أراه؟

ـ اخفض من صوتك كي لا تزعج المارة، أو يعتقد الناس بأنك مجنون أو بك علة ما.

ـ حسناً، قل لي كيف عدت إلى عصري؟

ـ لقد عدت بجسدك الشفاف يا مراد.

ـ جسدي الشفاف!

ـ لكل كائن حي جسدان، كل واحد منهما ذو ترددات بطيئة وسريعة، أنت الآن تعيش بجسدك الشفاف ذي الترددات السريعة، ولكنه مكثف بحيث ينظر له ويتعامل معه الأشخاص في العالم المادي ذي الترددات البطيئة على أنه الجسد العادي المتعارف عليه بينهم.

ـ وجسدي المادي؟

ـ إنه هناك في ذلك العصر!

ـ مستحيل!

ـ إن لم تكن مصدقاً ففكر في أي شيء وسوف تصل إليه.

ـ حقاً!

ـ جرِّبْ!

يفكر في نفسه وقد ارتدى بدلة أنيقة وجلس في مطعم في مول دبي.

يجد نفسه في أقل من ثانية هناك.

ـ مستحيل!! كيف جئت إلى هنا؟ وكيف ارتديت هذا اللباس الأنيق؟

ـ بسرعة العقل يا مراد.

ـ لا شيء أسرع من الضوء.

ـ بلى، إنها سرعة العقل!

ـ لم أسمع بها من قبل.

ـ ومن قال لك بأنك تعرف كل شيء في هذا الكون، سرعة الكون التي تعرفونها هي سرعة الضوء، ولكنها للكائنات ذات الترددات البطيئة، أما الكائنات ذات الترددات السريعة التي تتحرك في نطاق آخر من الوجود، فلها سرعة أخرى تفوق سرعة الضوء وهي سرعة العقل.

ـ أول مرة في حياتي أسمع بمثل هذه النظرية.

ـ كلْ يا مراد.

ينظر إلى الطاولة فيرى كباباً ومشروباً غازياً.

ـ كلْ، أنت منذ زمن لم تتذوق طعامك المفضل.

ينظر إلى الوجبة بعمق.

ـ لا يمكن، إنه طعام حقيقي!

يأكل طبق الكباب بشهية، ويتلذذ بطعم الكولا الذي يفضله من دون سكر.

ـ ما رأيك؟

ـ إنني أعلم بأنه غير حقيقي.

ـ ولماذا يا مراد؟

إن خلايا الذاكرة تحتفظ بطعم المأكولات والمشروبات، أنت كل ما فعلته أنك حفزتها

ـ ودفعت بالهرمونات، لكي تفرز المواد اللازمة ليتهيأ لي بأنّ ما آكله وأشربه حقيقي.

ـ رائع يا مراد!

ـ إنني أعشق الفيزياء والعلوم منذ صغري، لذا لا تعتقد بأني سوف أخدع بسهولة.

ينتهي مراد من تناول وجبته ثم يخرج من المطعم.

ـ يا إلهي لم أسدد ثمن الوجبة.

ـ مراد لقد سددتها قبل أن تأكل.

ـ كيف؟

ـ كل حاضر يسبقه ماضٍ، وكل مستقبل يسبقه حاضر، ربما لا نتذكر الماضي إلا أنه موجود قطعاً، وكل سبب يسبقه مسبِّب!

ـ فهمت ما تعني، وإنه لأمر في غاية الرهبة.

ـ استمتع بوقتك يا مراد، فما كل أمر يجب أن تدرك ماهيته.

يتجول في (المول)، ويتحدث مع بعض المتسوقين.

ـ ما رأيك يا مراد أليس هؤلاء أشخاصاً حقيقيين؟

ـ كلا، المخ يحتفظ بآلاف الصور والأصوات والأشكال؛ بل ويحفظ الأماكن بدقة متناهية تصل لحفظ ألوانها وأنساقها.

لا شك أنك أخرجتها من خلايا ذاكرتي، وأظهرتها بطريقةٍ ما لتبدو لي حقيقية.

ـ وكل هذا الزحام والضجيج؟

ـ كلها مخزنة أيضاً.

ـ حسناً يا مراد حسناً!

ـمراد.

يلتفت في كل الاتجاهات باحثاً عن مصدر الصوت.

ـ أنا هنا فوقك!

ينظر فوقه فيشاهد شخصاً يعرفه.

ـ كيف حالك يا مراد؟

ـ من؟ راشد.

ـ أنا هو.

يهرول له مراد بسرعة. يصعد إلى الطابق الثاني. يسلّم أحدهما على الآخر بحرارة.

ـ أين أنت يا رجل؟ لمَ كل هذا الغياب؟

يلوذ مراد بالصمت.

ـ ما بالك لا ترد؟

ـ كلّا لا شيء، كيف حالك أنت؟

ـ أنا بخير.

لا شك في أنك تخرجت في الجامعة الأمريكية.

ـ حقاً، حقاً.

ـ ممتاز، لقد أصبحت خبير الفيزياء المبجل يا صديقي.

ـ لا تبالغ.

ـ أبداً، بل هذه هي الحقيقة، ما أزال أتذكر كيف كنت تجري تجاربك في المدرسة، وكيف كنت تبهر بها المدرسين قبل الطلاب.

حقاً كانت من أجمل أيام العمر.

أين تعمل الآن؟

ـ (بارتباك) أعمل في شركة خاصة.

ـ ولمَ لم تُقدم على عمل حكومي؟

ـ لا يعجبني العمل في القطاع العام المليء بالروتين والمعوقات.

ـ لا أوافقك الرأي، سابقاً كان هذا ديدنه، أما الآن فالعمل في الحكومة أصبح كالعمل في القطاع الخاص، إلا أنّ ما يميزه هو الحوافز والامتيازات، أنصحك بأن تستقر في عمل في قطاع حكومي، فالشركات لا تزال غير ناضجة كما في الدول المتقدمة.

ـ حقاً كلامك صحيح.

ـ ما بالك مرتبكاً هكذا؟

ـ لا شيء. صدقني.

ـ أوه! يا شقي، لا شك أنك بصحبة صديقة!

ـ ( بابتسامة) كلا.

ـ حسناً أنت في هذا المكان على موعد مع شخصٍ ما.

ـ ولا هذا أيضاً.

ـ طوال عمرك أنت شخص غامض يا مراد.

ينظر إلى ساعته.

ـ حسناً، عليَّ الذهاب الآن.

ـ ابقَ قليلاً.

ـ لا أستطيع، أنا هنا مع زوجتي، وإن تأخرت عليها ستظن بأنني أتسكع هنا أو هناك.

ـ حسناً، لا بد أن نلتقي قريباً.

ـ بالتأكيد.

يتصافحان، ويمضي راشد عنه.

ـ والآن أمَازلت تظن أن ما أنت فيه مجرد وهم؟

ـ لا يمكن، كيف حدث هذا؟

الذي أعرفه أنني أعيش في ذلك العصر الماضي، وآخِر ما قمت به هو أني خلدت للنوم بعد تعرُّضي لأحداث عاصفة في ذلك البرج.

ـ وهذا ما حصل فعلاً.

ـ فكيف عدت إلى عصري، بينما جسدي لا يزال في عصر آخر؟

ـ كما قلت لك بجسدك الثاني يا مراد.

ـ وجسدي الأول؟

ـ لا يزال نائماً.

ـ مستحيل، لا يمكن هذا.

ـ هذه هي الحقيقة يا مراد.

ـ حسناً، سأُعرض الآن عن الكلام، أريد الخروج من هنا.

ـ فكِّر في أي مكان تريد أن تكون فيه، وسوف تذهب إليه فوراً.

ـ حسناً، أريد أن أذهب إلى شاطئ الجميرا.

ـ فكر في ذلك فقط، وسوف تكون هناك.

يغمض عينيه ويفكر في أنه يمارس السباحة على شاطئ الجميرا، فيجد نفسه مرتدياً ملابس السباحة وسط المياه.

يرى الناس وهم على الشاطئ رغم الجو البارد.

ـ كيف حدث هذا؟

على كلٍّ سأستمتع بوقتي.

يغطس في الماء ويمرح ويلهو، ويتحدث مع بعض الأشخاص.

ـ مراد انظر إلى قعر الماء.

ـ لمَ؟

ـ انظر فقط.

ينظر فيرى جسده نائماً.

ـ يا للهول!

ـ أليس هذا ممتعاً؟

ـ حسناً، ألا يمكن أن يبقى جسدي هناك في ذلك العصر، وأبقى هنا بجسدي الشفاف؟

ـ إنْ ظَلَّ جسدك نائماً دون استيقاظ، فسوف تموت.

ـ وإن حدث ذلك؟

ـ ستنقل من هنا على الفور.

ـ إلى أين؟

ـ إلى حيث يعيش الناس الذين فقدوا أجسادهم المادية.

ـ رباه! أتقصد عالم الموت؟

ـ هو بذاته يا مراد، فالعوالم درجات كموجات الراديو.

يخرج مراد من الماء، ويستلقي على الرمال.

تبدأ الشمس بالغروب، ويصبح الجو بارداً.

ـإنني أشعر بالبرد.

ـ لأن جسدك النجمي في حالة كثافة يماثل الأجساد المادية.

إذا أردت مغادرة الشاطئ، فما عليك إلا أن تغمض عينيك وتأمر جسدك بأن ينتقل لأي مكان شئت.

يغمض عينيه. يفكر بأنه في قصر المؤتمرات بأبوظبي، فينتقل إليه على الفور.

يرى نفسه داخل قاعة يجتمع فيها الكثير من الناس.

يجد نفسه مرتدياً بدلة أنيقة.

يتقدم نحوه أحد موظفي الأمن.

ـ عفواً سيدي، لم أرك تدخل من البوابة.

ـ أنا آسف.

ـ هذه القاعة يقتصر دخولها على حاملي بطاقة الدعوة فهل تحملها؟

ـ كلّا للأسف.

ـ لعلك دخلت القاعة بالخطأ، سنحاسب المسؤول عن هذا الأمر.

ـ أقدم اعتذاري ثانية.

ـ تفضل، يمكنك المغادرة والتنزه في أنحاء القصر.

يخرج مراد من القاعة وهو في قمة الإحراج.

يلتقط أنفاسه.

ـ حسناً يبدو أنني وقعت في مكان غير مناسب.

ـ الخطأ وارد دائماً يا مراد.

ـ اسمعني أريد زيارة أسرتي، هل هذا ممكن؟

ـ ممكن، ولكن.

ـ ماذا؟

ـ عليك تحمل مسؤولية ما سيجري لهم.

ـ لماذا؟

ـ إنهم حَزَانَى على فراقك، وإذا ما ظهرت لهم، ثم اختفيت عنهم ثانية، فلربما تصاب والدتك بمرض شديد يودي بها.

ـ كلامك صحيح، ولكني مشتاق لهم جداً.

ـ أعرف ذلك يا مراد.

ـ (بدموع منهمرة) لماذا يحدث هذا لي؟ ما الذي جنيته؟

ـ إنه القدَر يا مراد، ولا يمكن لأحدٍ مواجهته.

فجأة. يجد نفسه وقد دخل في طريق ضيق. يمشي فيه حتى يجد جسده نائماً.

يشعر بريح شديدة تدفعه إليه.

يفتح عينيه، فيرى نفسه مستيقظاً من النوم في منتصف النهار.

* * *

يقف على قدميه متحسساً جسده.

ـأكان هذا حلماً أم حقيقة؟

يتجه نحو وسط المنزل، ويفتح الباب ليعاين الوقت، فيجد أنه في منتصف النهار.

يتناول فطوره ثم يستحم، ثم يجلس ليأخذ قسطاً من الراحة، ويفكر فيما كان من أمره أثناء نومه.

لا يمكن أن يكون حلماً؟ إنه حقيقة دون شك.

يدخل عليه فاضل.

ـ استيقظت أخيراً؟

ـ أين كنت؟

ـ لقد استيقظت ضحىً ووجدتك لا تزال نائماً فلم أشأ إيقاظك.

ـ وأين ذهبت؟

ـ لقد ذهبت للعمل مع النوخذة ربيع ولكنه رفض وقال لي، أذهبُ معك إلى الشيخ عجلان.

ـ حقاً.

ـنعم ، يجب أن نهتم بعملنا يا مراد، وإلا ستسوء أحوالنا.

ـ حقاً لا بدّ أن نترك كل شيء الآن.

ـ على كل، جاءني أحد خدام الشيخ عجلان طالباً منّا أن نوافيه بعد المغرب.

ـ لا شك أن النوخذة ربيع شكانا له.

ـ يبدو ذلك.

يحلقان ذقنيهما ويرتديان ملابس نظيفة، ويذهبان بعد المغرب إلى الشيخ عجلان في مجلسه الذي كان مكتظاً بالحضور من أهل القرية وبعض الضيوف.

ما إن ينتهي الشيخ عجلان من كلامه مع جلسائه، حتى يستأذنهم بالخلوة مع مراد.

يأخذ الشيخ عجلان مراداً إلى غرفة منفردة.

ـكيف حالك يا مراد؟

ـ بخير والحمد لله.

ـ استمع إلي يا بني:

لقد سمعت أنكما تتركان عملكما وتذهبان إلى الصحراء، فماذا تفعلان هناك؟

يصمت مراد.

ـأخبرني يا بني، قبل يومين قضيتما الليل كله في إحدى البقاع البعيدة عن القرية. وفي هذا خطر عليكما.

ـإنني أعتذر منكم يا شيخ.

ـ أنصت إلي يا بني، لقد استقبلناكما وأصبحتما منا، والناس هنا تشكر أخلاقكما وحسن صنائعكما، ولن أنسى ما فعلته من أجل ابنتي، وكيف كنت السبب في إنقاذها من موت محقق، وعندما تيقّنت من حبك الصادق لها لم أتردد في تزويجك إياها.

يقبّل مراد جبين الشيخ عجلان.

ـ أنت الآن زوج دباة ، ابنتي الكبرى المحببة إلى قلبي.

ـ هذا من فضل الله ثم فضلك.

ـ ما أريد قوله في هذه العجالة: إن أيام عقدكما قد طالت، ولا بد من الإسراع في إتمام الزواج.

ـ كلامك صحيح يا عم.

ـ إذاً في وسط الربيع نقيم حفلة العرس.

تظهر على مراد ملامح الصدمة.

ـ ما بالك؟

ـأبداً، إنني أشتاق لتلك الليلة ولكن.

ـ ولكن فاضلاً هو المشكلة أليس كذلك؟

ـنعم.

ـ لا مشكلة على الإطلاق، سأبحث له عن زوجة إن أراد ذلك.

ـ حقاً؟

ـ بالتأكيد، شاب في مثل سنه لا بدّ أن يتزوج.

ـ إذا كان ذلك فقد انتهت المشكلة.

ـ حسناً، اتفقنا إذاً، وعليكما الالتزام بالعمل مع النوخذة ربيع.

ـ سنفعل، ولن نخيّب ظنك يا شيخ عجلان.

ـ هذا عهدي بك يا مراد.

ينهيان كلامهما ويدخلان على الحضور مرة أخرى، ثم يستأذنهما مراد وفاضل بالانصراف. ما إن يهمان بالتوجه نحو منزلهما حتى يأخذ مراد فاضلاً للكلام على انفراد في بقعة في محيط بيت الشيخ عجلان.

ـ مراد ما بالك؟ ألا تنتظر حتى نعود للمنزل؟

ـ كلا أريد التحدث معك هنا.

ـ حسناً أخبرني ماذا كان يريد منك الشيخ عجلان؟

ـ كان يريد.

ـ ماذا؟

يدير ظهره له.

فاضل إن الشيخ عجلان يريد إتمام زواجي بابنته.

يُصدَم فاضل وينتابه الصمت، ثم ما يلبث أن يضحك ضحكة مجلجلة تستفز مراداً.

ـ (بجِدَّة) لا أرى سبباً للضحك.

يلتفت إليه هازئاً.

ـ لا ترى سبباً للضحك! ذلك لأنك لا تريد أن ترى!

ـ فاضل أرجوك.

ـ بل أرجوك أنت أن تنصت لي.

ـ ماذا تريد أن تقول؟

ـ مراد أتريد حقاً أن تتزوج هذه الفتاة؟

ـ بكل تأكيد.

ـ إنها بحكم الميتة، إنها من الماضي، مجرد تاريخ.

ـ إنني أحبها.

ـ تحب طيفاً لا حقيقة واقعة. أرجوك يا مراد استيقظ، لا شك بأننا سوف نخرج من هذا الكابوس في أي وقت، وحينئذٍ ستكون دباة امرأة ليس لها وجود.

ـ (بانفعال) دباة حقيقة، إنها حية مثلي ومثلك، لا شك في ذلك ولا ريب.

ـ لا تخادع نفسك يا مراد، أنت تعلم أنه حالما ننتقل إلى عصرنا سأكون أنا من ضمن الحقائق الوحيدة الماثلة أمامك، أما دباة فليست سوى امرأة تحت التراب.

ـ وقد لا نعود.

ـ بل سنعود، لا يمكن أن يستمر ما نحن فيه إلى الأبد، لأنه مخالف لحركة الزمن وسنن الكون.

يصمت مراد، ثم يستأنف كلامه.

ـ فاضل، ليس لي إلا أن أعيش حاضري بكل وقائعه وأحداثه، أما ما سوف يحدث في الغد أو بعده، فليس سوى مجهول لا علاقة لي به.

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني بأن عليَّ أن أتزوج دباة.

ـ مراد!

ـ أرجوك يا فاضل، أنا زوجها وهي زوجتي، وعلينا أن نتمم زواجنا.

في هذه الأثناء كانت دباة تستمع لحديثهما من إحدى النوافذ.

ـ حسناً، لن أنغِّص عليك فرحتك، سأغادر بهدوء.

ـ تغادر، إلى أين؟

ـ سأذهب إلى أي مكان، دمشق، بغداد، أو حتى مسقط، المهم ألا أبقى في هذه القرية.

يدنو منه مراد ويمسكه من يده.

ـ وهل تراني أتركك أو أدعك تذهب.

ـمراد أنا لا...

ـ (يقاطعه قائلاً): استمع إلي، الشيخ عجلان سيجد لك فتاة تتزوجها.

يضحك فاضل ضحكة مجلجلة مرة أخرى.

ـ لمَ الضحك ثانية؟

ـأنت تضحكني، تريدني أن أتزوج بامرأة ليست من عصري وزماني.

ـ مثلما أنت الآن تحيا بين أناس ليسوا من عصرك وزمانك.

ـ ولكنك تتحدث عن زواج وقد يعقبه إنجاب، وهذا مخالف

لكل قوانين الفيزياء الأينشتاينية والنظرية والتجريبية والميكانيكية. أليس كذلك يا خبير الفيزياء وعاشقها!

ـ حسناً، وماذا تريدنا أن نفعل؟ ألم نحاول الخروج من هذا العصر ولم ننجح؟ هل تريدنا أن نظل أسارى أملٍ قد لا يأتي.

ـ وما الرأي عندك إذاً؟

ـ أن نعيش حياتنا كما هي، فنحن لا نعلم ما إذا كنا سنعود إلى زمننا أم لا، ويكفي أننا في وطننا.

ـ وطن! أو تسمي هذه القرية وطناً؟

ـ نعم وطن، وإن كان في عصر غير عصرنا وزمان غير زماننا.

قرية صيادين تحيطها الصحراء القاحلة، وتطل على ساحل ميت تسميها وطناً، وتسمي هؤلاء الناس الأموات مواطنين، أَفِقْ من هذا الوهم يا مراد.

ـ بل أنت الذي يجب أن تتحرر من وهم الحقيقة وخداع الواقع، الحقيقة ليست كل ما تشاهده بعينيك، ثمة حقيقة أجلّ من ذلك وأعمق.

ـ كلام ليس له قيمة.

يدنو فاضل من مراد ويضع يديه على كتفيه.

ـ مراد، سأغادر هذه القرية ولن أعود إليها، لقد اتخذت قراري، إن عدت إلى عصري كان بها، وإلا فلن أبقى في هذا الهجير الذي تتوهم بأنه وطن.

يذهب عنه فاضل ليتركه وحيداً في الظلام.

ما يلبث أن يغادر هو الآخر بينما تنظر له دباة، والدهشة قد أوشكت على إفقادها النطق من هول ما سمعته منهما.

يسير مراد حائراً في أنحاء القرية، وقد ارتسم الحزن على محيّاه وأثقل الهمّ كاهله. ينظر إلى النجوم تارة وإلى أزقة وطرقات القرية تارة أخرى. يجلس القرفصاء قليلاً والدموع تنهمر من عينيه، ثم سرعان ما ينفجر باكياً.

يقوم من مكانه مرة أخرى، ويستمر في المشي على غير هدى.

يمر على قوم من أهالي القرية، وهم جلوس يتسامرون فيما بينهم.

ـ أليس هذا مراداً العرّاف؟

ـ كأنه هو.

ـ بل لا شك أنه هو، لمَ لا تدعوه للجلوس معنا؟

ـ لمَ لا؟

يمضي إليه مسرعاً وينادي عليه. يقف له مراد ثم يلتفت إليه.

ـ مراد، (بأنفاس متقطعة) أو لست مراداً؟

ـ نعم أنا هو.

ـ ناديتك كثيراً ولكنك لم تسمعني.

ـ أنا آسف، لقد كنت سارحاً قليلاً.

ـ أيمكنك أن تأتي معي؟

ـ إلى أين؟

ـ هناك أناس يريدون التحدث معك.

ـ ولكن.

ـ أرجوك، ما إن علموا بأنك مراد حتى طلبوا مني أن أدعوك للجلوس معهم.

ـ حسناً.

يأتي إليهم مسلماً فيردّون عليه السلام، ويقومون له احتراماً.

.. يجلس في وسطهم. ينظر له الذي طلب لقاءه بمكر.

ـ أعرّفك بنفسي يا مراد، أنا اسمي بخيت.

ـ تسرّني معرفتك.

ـ وأنا كذلك يا مراد، (بخيلاء)، أنا مهتم بالأسفار والتجارة، أزور دائماً بلاد عمان، والأحساء ونجداً، والبحرين، وأجلب منها البضائع الكثيرة.

ـ رائع، ولكن هل زرت العراق والشام؟

يقف مختالاً.

ـ قريباً سأسافر إلى بغداد العامرة ودمشق الزاهرة، وإن كان لديّ متسع من الوقت فسأزور القاهرة والإسكندرية أيضاً، ومن هناك سأشتري البضائع النفيسة لأبيعها في مختلف البلاد.

ـ عظيم، ستكون تجارة باهرة دون شك، هل أستطيع المجيء معك.

ـ بلا شك.

ـ ما إن ينصرم الشتاء حتى أجهّز لرحلتي إلى بعض تلك الأقاصي.

سأسافر معك، أريد التعرف إلى تلك البلدان العريقة.

يدنو منه وما يلبث أن يجلس بقربه.

ـ هل لي أن أسالك؟

ـ تفضل.

ـ سمعت بأنك تتنبأ بالمستقبل، أصحيح هذا؟

ـ نعم، ولكن ليس بهذه الكيفية التي تتصورها.

ـ كيف؟

ـ أنا لا أتنبأ بالمستقبل، وليس لي علم به، ولكني عشته لذلك أعرفه.

(متعجباً) حسناً، أنا لم أفهم ما تقول، ولكن أصحيح أنك قلت إن هذه القرية سوف تتحول إلى مدينة كبيرة؟

ـ نعم، هذا صحيح.

يقف مبتسماً بوجه ماكر وبلهجة ساخرة.

ـ ولكنها مجرد قرية صيادين، فكيف ستصبح مدينة كبيرة؟

ـ هذا ما سيحدث.

ـ إذا كان ما تقوله صحيحاً، فإن التنقل بواسطة الخيول والجمال سيغدو أمراً صعباً.

ـ كلا لن تستخدم.

يصمت الجميع وينظر بعضهم إلى بعض بتعجب، إلا أن بخيت سرعان ما ينفجر ضاحكاً.

ـ (بسخرية) إذاً ماذا سيركبون؟ الأرانب أم الماعز؟

يضحك الجميع ليضج المجلس بالضحك والسخرية من مراد.

يقف مراد قائلاً: سيركبون السيارات والقطارات والحافلات.

بخيت: وما هي هذه الأشياء؟

ـ إنها أشبه بالهوادج، ولكنها تتحرك من دون جمال أو أي حيوانات أخرى مشابهة.

يضحكون ضحكات عالية.

ـ (بضحك وسخرية)، فكيف ستتحرك إذاً؟

ـ بالوقود!

ـ وما هو الوقود؟

ـ إنه أشبه بالماء والدم اللذيْن يجريان في عروقنا، ويمنحاننا الحياة والقوة.

بخيت وهو في قمة سخريته:

أسمعتم ما يقوله مراد؟

سوف تتحرك الأشياء التي ذكرها بالمياه!

يستغرقون في الضحك حتى يهدؤوا قليلاً، ثم يسأله أحدهم: وكم ستستغرق الأسفار إذا ما استخدمنا الأشياء التي ذكرتها أيها العراف؟

ـ (يجلس مسترخياً ويخاطبهم بيأس): سوف يسافر الناس في المستقبل بسرعة تفوق ما تتصورونه.

ينظرون إليه بتعجب ودهشة.

لا تتعجبوا، هذه هي الحقيقة المطلقة التي لا تحتمل التزييف، سوف تخترع الطائرات الصغيرة والكبيرة التي تجوب الأجواء،

وتخترق السحب بسرعة كبيرة، وسوف تصلون بغداد خلال ساعتين فقط.

يتعجبون أشد العجب، ويصمتون من هول كلامه.

يقف بخيت ضاحكاً وساخراً من مراد ويرفرف بيديه، ويحاول تقليد الطيور.

ـ هاهاها، سنسافر كالطيور هكذا،

ثم يتجول وهو يرفرف بيديه.

أليس كذلك يا مراد؟

تتعالى ضحكاتهم بشدة.

يخاطبهم مراد بيأس قائلاً: أعلم أنّ ما قلته لكم لا يمكن تصديقه في عصركم هذا، ولكنني رأيته وعشته، لذلك أنا واثق بأن ما أقوله لكم حقيقة، ولو لم أكن عشت هذا المستقبل لما صدقته مثلكم.

ـ حقاً، لا يمكن أن أصدق كيف أن الإنسان الذي يركب الجمال والخيول التي تقطع به المسافات في أسابيع، سيركب تلك المركبات التي تقطعها في ساعات!

.. يقف ويخاطبهم بجدية قائلاً: ولكنها الحقيقة يا رفاق.

الحقيقة التي لا تقبل الجدل، أو حتى طرحها للنقاش.

يقف في وسطهم وهم لا يزالون يضحكون قائلين:

سنطير كالحمائم!

لا بل كالبلابل!

بل كالصقور!

وسنسير في الصحراء كالهواء.

كلا، بل كذرّات الرمال!

هاهاها.

يخرج مراد من بينهم منكسراً ويائساً، وهو لا يزال يسمع كلامهم.

لم يبقَ إلا أن يقول لنا: إن الذين سيأتون بعدنا سيتمكنون من الوصول إلى القمر.

يجيبهم مراد في صدره قائلاً: لو صبرتم قليلاً لأخبرتكم بأن أهل الأزمان القادمة سيسافرون إلى النجوم بواسطة السفن والمركبات الفضائية!

اليوم كل من يقول بأن الوصول إلى القمر ممكن يعتبر مجنوناً، ولكنْ غداً كل من ينكر الوصول إلى القمر سيكون هو المجنون! يا لسخرية القدر!

يستمرون في الضحك بينما يستأنف مراد سيره في أنحاء القرية الذي يأخذه مرة أخرى إلى منزل الشيخ عجلان. يستأذن في مقابلة دباة.

يجلس معها في غرفتها، ولكن كانا صامتين.

ينظر أحدهما إلى الآخر في حزن، ثم يحتضنان.

ـ ما بك يا مراد؟ لماذا خرجت من المجلس ولم تأتني على عادتك؟

ـ لأنني أشعر بالحزن الشديد أيتها الحبيبة.

ـ مراد.

ـ لبيك يا توأم الروح.

ـ لقد سمعت كل ما دار بينك وبين فاضل.

ـ ماذا؟

ـ كل حرف وكل كلمة.

ـ دباة لمَ فعلت ذلك؟ أنت بذلك تحمّلين نفسك ما لا تحتملين.

ـ مراد لا أريد لك أن تشقى بسببي، إن كنت تريد.

يضع يده على فهمها.

ـ أنا أحبك يا دباة، ولن أتخلى عنك أبداً.

ـ ولكنْ فاضل.

ـ فاضل له الحق في أن يفعل ما يشاء.

ـ ولكن زمنك الذي جئت منه، وأهلك وحياتك التي يجب أن تعيشها.

ـ أنتِ كل شيء في حياتي يا دباة.

ـ ولكن..

ـ دباة، أنا لا أمتلك أي طريقة للعودة إلى زمني، ولو كان فاضل قادراً على العودة لعاد.

ـ مراد، أخشى عليك من عواقب بقائك معنا.

ـ دباة، أهمُّ مخلوق عندي هو أنت فقط.

ترتمي في حضنه.

ـ أنا لن أتخلى عنك أبداً، أنت الرجل الذي أحبه وأريده زوجاً لي، أنت كل حياتي يا مراد.

ينظر إليها بدموع وخشوع.

ـ وأنتِ كذلك، لذلك فلندع الأيام القادمة وشأنها، ولنعش أيامنا، حتى لو كنا من زمنين مختلفين إلا أننا من وطن واحد يجمعنا، من أرض واحدة، من تراب واحد.

ألا يكفي هذا يا عزيزتي؟

ـ (بحنان وعذوبة) بالتأكيد أيها الحبيب الذي سكن القلب وتملك الروح.

ـ إننا القلوب العاشقة الهائمة التي لا تعرف مكاناً أو زماناً، مكاني هو قلبك، ومكانكِ هو قلبي، زمانكِ هو أنا ، وزماني هو أنتِ.

يخرج مراد من منزل الشيخ عجلان، وقد أقسم أن يقضي بقية حياته في عصر الوصل، وألا يعود إلى عصر دبي إلا إذا كانت دباة معه.

ـ دباة انظري إلى ذلك القمر، ستطؤه أقدام البشر يوماً، فإذا ما كان هذا أمراً محتماً وقضاء مبرماً، فاعلمي أن حبي لك قدَرٌ لا مفرَّ منه كذلك، فأنتِ لي كالقمر الذي من دونه سيظلم ليل عمري إلى الأبد.

## الحلقة الخامسة

# الصحراء الحمراء

يسير على جمله بوَجل. إنه يقترب. لقد لاحت له المضارب أخيراً. الخوف يتسلل إلى جوارحه. القلق يرتسم على وجهه.

ـ فتّاح. فتّاح.

يلتفت نحو اتجاه الصوت. يرى رجلاً مقبلاً عليه.

ـ أنت فتّاح أم أنا مخطئ؟

ـ نعم أنا.

يترجَّل فتّاح من على جمله ويسلّم عليه.

ـ أين كنت؟ الزعيم غليص سأل عنك وأمرنا بإحضارك.

ـ يا للهول!

ـ بعد اختفائك بعدة أيام عادت له صحته واسترد عافيته سريعاً، وأظنه في هذا الوقت في مجلسه.

ـ يا إلهي!

ـ أين كنت بحق السماء؟

لا يجيبه ويمتطي جمله ويذهب سريعاً.

يدخل المضارب، يضع جمله في المرابط. يدخل خيمته. يغتسل على وجه السرعة. يرتدي ثياباً نظيفة، ثم يذهب على وجه السرعة لخيمة الزعيم غليص. يدنو منها بحذر شديد.

يراه أحد الحراس الواقفين عليها.

ـ فتّاح، عدت أخيراً!

يبتسم في وجهه!

ـ نعم عدت كيف حالكم؟

ـ ادخل، الزعيم يطلبك منذ فترة طويلة.

هل معه أحد؟

ـ (بمكر) نفر قليل، لا تهتم.

يمسك به ويدفعه للمجلس.

يفاجأ بمجموعة كبيرة من الحضور وفي وسطهم الزعيم غليص.

يسلم على الحضور بيده، ثم يهرول نحو الزعيم مقبّلاً أنفه وجبهته.

ينظر إليه الزعيم بحمق، ثم يأمره بالجلوس.

يجلس فتّاح وهو مرتبكٌ وقلقٌ. يأتيه الخادم بالقهوة فيشربها على مضض.

يستأنف الزعيم غليص كلامه مع الحضور. يستمرون في حديثهم عن عدد من الأخبار والأحوال لمدة من الزمن حتى يقل كلامهم.

تحين التفاتة من الزعيم غليص لفتّاح بعينين متوهجتين.

ـ فتّاح!

يعتدل فى جلسته ويجيبه بارتباك:

ـ لبيك يا زعيم.

ـ اقتربْ مني.

ـ أمرك.

يأمر الزعيم أن يُفسح لفتّاح ليجلس بقربه.

يجلس بجانبه، والصمت يطبق على الجميع.

يرتشف الزعيم القهوة ببرود. ينزل رأسه إلى الأرض مدة من الزمن، ثم يرفعه ويتوجه نحو فتّاح بوجه متجهِّم.

ـ أين كنت يا فتّاح خلال ما يناهز الشهر؟

يتطلع فتّاح في الحضور بسرعة خاطفة، ثم ينظر إلى الزعيم.

ـ كنت.

ـ (بغضب ) أين كنت؟ أجب.

ـ في الحقيقة ذهبت للسياحة قليلاً في الأنحاء.

ـ قُلْها بوضوح ذهبتُ للتسكع.

يلوذ بالصمت.

ـ وكيف تغادر من دون أن تستأذنني؟

ـ لقد كنتَ مريضاً أيها الزعيم فأخذت الإذن من وضّاح.

يقف وضاح مدافعاً عن نفسه.

ـ ولكنك لم تقل: إنك ستغادرنا أسابيع، لقد قلت: إنك ستعود خلال أيام قليلة، أو ليس هذا ما حدث؟

يرتبك ولا يعرف بماذا يجيب.

الزعيم غليص: كيف تجرؤ على المغادرة، وأنت تعلم بأني مريض؟

ـ (بارتباك) لقد عزمت في نفسي أيها الزعيم أن أتجول قليلاً، فأنا لم أعد أستطيع رؤيتك عليلاً، إن قلبي يتمزق كلما رأيتك طريح الفراش.

ـ (بانفعال) كلام معجون بالنفاق، كان عليك ألا تسافر حتى آذن لك، أو يأذن لك من سيأتي بعدي.

ـ أطال الله في عمرك أيها الزعيم.

ـ مهما قلت وتكلمت واصطنعت الكلمات والجمل المنمقة والعبارات المتألقة، لا بدّ من عقابك.

يقف فتّاح وقد تفجّر منه الخوف.

ـ الرحمة أيها الزعيم.

ـ اجلس، لم أُنهِ كلامي بعد.

يجلس فتّاح وجوارحه ترتعد من الخوف.

ـ أقسم لأضربنّك ولأحبسنّك لتكون مثلاً وعبرة لكل من لا يعتبر، أو لتأتيني بفائدة أو جائزة من سفرك هذا.

ما إن يسمع فتّاح كلام الزعيم حتى يتوارى الخوف عنه، وتتلاشى ملامحه من على وجهه، لتظهر عليه ملامح الراحة والأمان.

يجيبه بكل ثقة ومكر:

ـ بل جئتك بجائزة؟

ـ فما هي؟

ـ أرجو منك أيها الزعيم أن تسمح لي بالكلام.

ـ قلْ وأوجزْ.

ـ عندما غادرت مضاربنا العامرة توجهت إلى ساحل البحر، وسحت هناك قرابة ثلاثة أسابيع.

ـ أمسك عن الكلام يا فتّاح!

ـ أمرك أيها الزعيم.

ـ أقضيت كل هذا الوقت على ساحل البحر؟

ـ نعم أيها الزعيم.

ـ أفكانت الصحراء عن يمينك تارة، والبحر عن يسارك تارة؟

ـ نعم أيها الزعيم.

ـ وكان البحر عن يمينك تارة، والصحراء عن يسارك تارة أخرى؟

ـ نعم سيدي.

ـ ويحك! فأي فائدة جئت بها، وأي غنيمة سأغنمها؟

ـ صبراً أيها الزعيم، فالأمور بخواتيمها.

ـ ويلك أكمل!

ـ أمرك يا زعيم.

ـ كنتُ إذا ما كانت الصحراء عن يميني أصاحب أهل القوافل المتجهة، إلى بلاد عمان والمهرة وحضرموت وما جاورها من

الأمصار، حيث كانوا يضيفونني ويكرمونني، وأسمع منهم أخبار بلادهم فعرفت طرائقهم وأحوالهم، وتعلّمت منهم الكثير من الآداب والسنن.

وكنت إذا ما كان البحر عن يميني أجول بين القبائل المتجهة إلى الحسا والبحرين ونجد والحجاز وغيرها من الديار، فكانوا يقومون بالواجب مثل أولئك.

فقضيت خمسة عشر يوماً على هذه السجية حتى مللتها، وضاقت نفسي منها، فقررت السفر باتجاه واحد، بحيث تكون الصحراء عن يميني والبحر عن يساري، فقطعت المسافات حتى بلغت الخور، وهو على بعد يوم أو يزيد من هنا، وفي الخور يكمن بيت القصيد.

ـ فما هو؟

ـ الوصل أيها الزعيم.

ـ الوصل!

يدنو فتّاح من الزعيم غليص بوجه ماكر.

ـ إنها قرية مطلة على الخور، يسكنها مجموعة من نواخذة البحر والصيادين ورعاة الإبل.

ينظر إليه الزعيم بانقباض.

ـ وما أفعل بقرية الصيادين هذه؟

ـ إنها لك أيها الزعيم، لا أحد غيرك يستحق أن تكون له.

ـ أتعني أن أغزوها، وأكون حاكماً عليها؟

ـ نعم أيها الزعيم، فبدلاً من إقامتك في هذه الفلاة ستكون الوصل لك مستقراً ومتاعاً.

وستكون عاصمة لك ومقراً لقواتك الضاربة في البرّ والبحر.

ينبهر الزعيم غليص بما قاله فتّاح ليبدأ بالتفكير العميق، ثم ما يلبث أن يلتفت إلى أصحابه والحضور من حوله.

ـ ماذا تقولون يا رجال؟

أحدهم: نِعم الرأي.

آخر: قلتَ حقاً ونطقتَ صواباً يا فتّاح.

ينظر الزعيم لفتّاح:

ـ حسناً، عفوتُ عنك وجعلتك من المقربين مني.

ـ الشكر والعرفان لك أيها الزعيم.

ـ ولكن لا تعُدْ لما فعلته، وإلا لن تشفع لك عندي كنوز الصحراء.

ـ أمرك أيها الزعيم.

ثم يخاطب الزعيم جماعته .

إنْ غَنِمنا هذه القرية فسنكون قد حصلنا على «محلة» نعيش فيها بدلاً من هذه الخيام.

أحد الحضور: سنغنم وسنبني بيوتاً من حجارة تقينا عواصف الصحراء وحرها الشديد في الصيف، وبردها القارس في الشتاء.

آخر: إلا أن الساحل شديد الحرارة في الصيف، وذو رطوبة عالية.

آخر: وإن كان ذلك، نستطيع الخروج إلى أماكن أكثر اعتدالاً في جوف الصحراء، والعودة عند اعتدال الجو.

الزعيم: حسناً، لقد عزمت على أخذها، ولكن بعد أن أراها رأي العين.

أحد المساعدين: فبمَ تأمر أيها الزعيم؟

ـ جهّزوا لي جمعاً من الرجال، وفي مقدمتهم فتّاح لنذهب إليها.

ـ ولكنك أيها الزعيم لم تتعافَ تماماً.

ـ اسكت! لن يمنعي هذا من طلب ما أريده وأطمح إليه.

سنخرج من عصر الغد، وسنسير طوال الليل حتى نبلغها صباحاً.

ـ أمرك.

ثم يلفتت إلى فتّاح قائلاً: إن كان أمر هذه القرية صحيحاً، فلك عندي المكانة والجائزة، وإن كان كذباً فسوف أقتلك وأمضي عنك. أتفهم ما أقول ؟

يجيبه فتّاح بكل ثقة:سوف تراها مثلما ترانا أيها الزعيم.

* * *

يقضي مراد وفاضل الوقت معاً ولكن من النادر أن يتحادثا، ويذهبان إلى عملها وهما صامتان إلا من شؤون الغوص والصيد. في الليل كل واحد منهما يجلس بعيداً عن الآخر. في صباح يوم العطلة عن العمل يخرج مراد من المنزل صباحاً، إلا أن الشمس أصبحت قوية حيث بدأ الشتاء بالرحيل. يعود إلى المنزل فيرى فاضلاً يجهّز أغراضه. يشاهده مراد بصمت. يلتفت إليه فاضل إلا أنه يتابع عمله بهدوء.

ـ مراد لقد قررت الرحيل بعد يوم أو يومين من زواجك.

يقترب منه مراد.

ـ فلماذا إذاً تجهّز أغراضك من الآن؟

ـ إنني فقط أقوم بإحصائها واختيار ما سآخذه منها.

يمسك به مراد من إحدى يديه.

ـ فاضل انتظر قليلاً، لعلك تجد طريقةً ما للعودة إلى عصرنا.

ـ تعبت من الانتظار يا مراد، وتعبت من محاولاتنا الفاشلة، أريد الذهاب إلى الشام لأقضي فيها بقية حياتي.

ـ الشام.

ـ نعم، يقولون إنها مدينة عامرة ومزدهرة، وهواؤها عليل معظم السنة، لذلك سأعيش فيها.

ـ فاضل، أنا لا أتصور الحياة في هذا الزمن من دونك.

يلتفت إليه فاضل بوجه حانٍ.

ـ لا تقلق سنكون على اتصال بواسطة الرسائل.

ـ (بابتسامة) نسيت أنه يمكننا التواصل عبر حمام الزاجل والبريد.

ـ آه!! بدلاً من الهواتف الذكية والبريد الإلكتروني الذي ينقل رسائلنا خلال ثوانٍ، سنعود لاستخدام حمام الزاجل ورسائل البريد، التي تنقل أخبارنا ومشاعرنا وأحاسيسنا خلال أسابيع وأشهر.

ـ وخلال هذه المدة الطويلة قد ينقلب الحب إلى كره، والحياة إلى موت، والسعادة إلى حزن، قد تتغير أمور كثيرة، إلا شيئاً واحداً.

ـ ما هو؟

ـ وجودنا في هذا العصر!

ـ صدقت.

ـ في الصيف القادم سأزورك في الشام مع دباة.

ـ هاها، الشام، ما أجملها من بلاد، كنا في الصيف نسافر إليها لنقضي في ربوعها الأيام الجميلة، وها نحن نفعل ذلك مجدداً، ولكن في زمن يبعد عن زمننا أكثر من ستمئة سنة.

ـ إنها لعبة الأقدار يا صاحبي، هيا بنا نخرج قليلاً.

ـ إلى أين؟

ـ إلى الخور.

يمضيان إلى الخور. يشاهدان الشيخ عجلان مع جمع من الأهالي.

يمضيان نحوهم.

كان الشيخ عجلان يتفقد المراكب.

يلتفت إلى مراد وفاضل.

ـ أرى أنكما تصالحتما أخيراً.

مراد: كان مجرد خصام عابر.

الشيخ عجلان: فاضل، أمازلت عازماً على الرحيل؟

ـ أفضّل الذهاب إلى هناك.

يلتفت الشيخ عجلان إلى مراد.

ـ يبدو أن صاحبك يتوق للعيش في المدن الكبيرة ذات الهواء العليل.

ـ بل إنه يريد حياة المدن الكبيرة ليتسكع فيها دون حسيب أو رقيب.

ـ أحقاً ذلك يا فاضل؟

ـ لا تصدقه أرجوك إنه هو الذي يتمنى ذلك.

يضحك الجميع إلا أن شخصاً قادماً يقطع عليهم مرحهم.

يا شيخ عجلان، يا شيخ عجلان.

يصل إليهم وهو يلهث من شدة الركض.

ما بك؟ لمَ أنت مضطربٌ هكذا؟

ـ قوم من الأعراب في الطريق إلى القرية.

ـ ماذا؟

ـ لقد شاهدهم عدة أشخاص وهم متجهون نحو القرية.

ـ ألم يتحقق أحد من هويتهم؟

ـ إنهم أكثر من خمسين رجلاً، ما بين راكبٍ وماشٍ، والسيوف في أغمادهم، والأقواس والرماح بأيديهم وعلى ظهورهم.

يظهر على وجه الشيخ عجلان والناس من حوله القلق، بينما ترتسم علامات الاستفام في وجهيْ مراد وفاضل.

ـ حسناً فلنذهب إليهم ونرَ ماذا يريدون.

يصعد الشيخ عجلان على ظهر جواده الذي يدخره في مثل هذه المناسبات، ويأمر بحضور بعض الوجهاء الذين ينضم إليهم عدد من الأهالي، ومن ضمنهم مراد وفاضل، ليشكّلوا وفداً يمثّل قريتهم.

يقف موكب الشيخ عجلان في مدخل القرية الجنوبي المطلّ على الصحراء ساعة من الزمن، حتى يظهر لهم موكب الزعيم غليص، وبمعيته أكثر من خمسين رجلاً مدججين بالسلاح.

يقترب موكبهم من مدخل القرية حتى يقفوا في مواجهة الشيخ عجلان وصحبه.

ينظر الزعيم غليص إلى الشيخ عجلان ومن معه، بعيون مبققة ويعرض عن الكلام.

ينظر الشيخ عجلان لهم بقلق، ثم يلتفت إلى أصحابه وهم صامتون.

يتوجه الشيخ عجلان للزعيم غليص بالكلام:

أهلاً بكم، تفضلوا معنا للضيافة.

يلتفت الزعيم غليص إلى من حوله ويتقدم عليهم. ويجيب الشيخ عجلان سائلاً: أنت زعيم هذه القرية؟

ـ (بانقباض) كلا. لست زعيمهم بل كبيرهم، وهم من اختاروني لأكون كذلك.

ـ كبيرهم، زعيمهم، شيخهم، هذا لا يهمّ عندي، إليك أوجه خطابي إذاً.

ـ قلْ ما عندك، لكنك لم تسلّم علينا بتحية العرب المعهودة، ولم تنزل عن جوادك، ولم تأتِ لنضيفك، وليست هذه عادات العرب وتقاليد القبائل.

ـ عندما أنتهي مما جئت له، وتجيبني إلى مطلبي سيحدث هذا وأكثر.

ـ إن كان ما تريده بمقدروي، فلبيك، فنحن لا نردّ من يطلبنا ويلجأ إلينا.

يُعرض الزعيم غليص عن إجابته، ويصمت قليلاً ويطرق برأسه إلى الأرض، ثم يرفعه قائلاً:

لقد قررت أن أنزل في قريتكم.

ـ على الرحب والسعة أنت وصحبك.

ـ ولكني عزمت أن أنزل عندكم لأكون في مكان عالٍ فيكم كالجبل، لا كضيف يمضي كما تمضي سحائب المطر.

يفجأ الجميعَ كلامُه. يستشعر الشيخ عجلان الخطر، إلا أنه يجيبه بكل ثقة واقتدار قائلاً:

ـ لكنك غريب عنّا، ولا أظن الناس هنا تقبلك، ثم إن أغلب الناس هنا صائدو أسماك وبحارون ورعاة إبل.

ـ وهذا ما أريده، إنني أبحث عن بلد أترأسه، ولم أجد أفضل من هذه القرية.

يتدخل أحد رفقاء الشيخ عجلان.

ـ إننا لسنا بحاجة لأن تكون زعيماً علينا، فلتتفضل معنا كضيف أو لترحل.

ـ (بغضب وصوت عالٍ) لم آتِ هنا لأستشير أحداً منكم في هذا الأمر؛ بل لأعلمكم بمرادي وقراري.

الشيخ عجلان: ماذا تعني؟

ـ أنت تعرف ما أقصد يا شيخ عجلان بكل تأكيد.

ثم يوجه خطابه للجميع:

ـ اسمعوني جيداً: إذا نزلتم على حكمي، فإن لكم معايشكم لا تمَس، وليس لي عليكم إلا السمع والطاعة ومقداراً من المال تدفعونه لي كل عام أستعين به على شؤوني وشؤون خاصتي، فما تقولون؟

يصمت الشيخ عجلان ومن معه، إلا أن مراداً يخرج من بين الجموع وقد ثارت ثائرته.

ـ بل اذهب عنا أيها الرجل، فهذه القرية وطننا، ولن تأخذها منا، ولن نقبل بك رئيساً علينا.

ينظر إليه الزعيم غليص بازدراء ثم يسأله:

ـ فمن أنت يا هذا؟

ـ أنا ابن هذه القرية، ولي حق فيها مثل غيري.

ـ لا أتحدث إلا مع كبيركم فأجب يا شيخ عجلان على كلامي.

يلتفت إليه الشيخ عجلان وقد بان الغضب على وجهه.

ـ إن ما يقوله هذا الشاب هو ما يختلج في لساني.

ـ (بصدمة ) حقاً!

مراد: فلتغادر قريتنا، ولتدعها إلى مُقبِل أيامها.

ـ (باستخفاف) وما مُقبل أيام قرية صائدي الأسماك؟

ـ دعها، فهي ليست لك، ولن تكون أبداً، بل هي لقوم سيأتونها في يومٍ ما، يعمرونها ويجعلونها علَماً بين البلدان.

يضحك الزعيم غليص ومَن معه.

ـ اسمعوا ما يقول هذا. قرية الصيادين ستصبح مدينة كبيرة معروفة بين الناس!

يضحكون معه.

يعود الزعيم إلى صفوف رجاله ويتوسطهم.

ـ إن لم تذعنوا لي، فسوف آتيكم بجنود لا قِبَل لكم بها، وكل

من يقاومني منكم سأقتله وأسلبه ما يملك، أتدركون ما أقول إنني جاد؟

الشيخ عجلان: لن نسلم لك قريتنا أبداً.

ـ (يضحك) يبدو أنك خرفت يا عجلان، أو تصدق هذا الأَفّاق فيما يقول، ما أنت إلا شيخ قرية أهلها تصيد السمك، فلا تضحّي بهم من أجلها.

يجيبه مراد: ومن قال لك إننا سندافع عن هذه القرية؟

ـ عمّن ستدافعون إذاً؟

ـ عن أنفسنا، عن كرامتنا وعزتنا، وما القرية إلا عنوانٌ لها.

يسُلُّ الزعيم سيفه، ويسل أصحابه معه سيوفهم.

ـ حسناً، بيننا السيف، ولْنَرَ كيف ستدافعون عن كرامتكم التي تتبجّحون بها.

ـ هيّا يا رجال.

يبدأ أتباع الزعيم غليص بالانسحاب، فيما يخاطب الشيخ عجلان ومن معه قائلاً:

أمامكم شهر لتفكروا، فإما أن تقبلوا بما عرضته عليكم، وإما أن تجنوا على أنفسكم وأهاليكم وأطفالكم، إن سيوف الزعيم إن أُشْرعت، فلن ترتوي إلا من الدماء.

يقف الشيخ عجلان ومن معه في ذهول، بينما يغيب الزعيم غليص وأتباعه عن أنظارهم شيئاً فشيئاً.

يتحدث أحدهم: يا لهذه المصيبة التي حلت علينا!

ينظر إليه الشيخ عجلان بازدراء ثم يخاطب الجميع:

ـ فلنعد أدراجنا ولنجتمع بعد المغرب.

يعود الجميع.

يرجع فاضل ومراد إلى منزلهما.

ينظر فاضل إلى مراد بوجل.

ـ مراد إن الأمر خطير.

ـ ماذا تعني؟

ـ قد ينفِّذ هؤلاء تهديدهم بغزو القرية.

ـ فاضل لسنا واثقين من أنهم سيفعلون ذلك.

ـ حسناً، فلننتظر اجتماع الليلة.

يحل المغرب بسرعة، وسرعان ما يحتشد مجلس الشيخ عجلان بالحضور، ومن ضمنهم مراد وفاضل اللذان تعمّدا الحضور مبكِّراً.

ما إن يكتظ المجلس بالحضور، حتى يأمر الشيخ عجلان بإغلاق الباب وعدم دخول أحد.

ـ حقاً أنتم تعلمون لمَ نحن مجتمعون اليوم؟

يجيبه أغلب مَن بالمجلس بالعلم.

ـ فما هو الرأي عندكم يا رجال؟

يجيبه أحدهم: إنه الزعيم غليص قاطع طريق يُغير على القوافل، ويكمن رجاله للناس في الصحراء، فإن واجهناه سيقتلنا ويُفني منا خلقاً كثيراً، ويأسر ويشرد الباقي.

آخر: ولكن إن تركنا قريتنا التي خلّفها لنا آباؤنا، فإلى أين نذهب؟

آخر: الساحل طويل، ويمكننا بناء قرية أخرى بعيدة عن مناطق نفوذه.

آخر: أرى أن نذهب إلى بلاد النبهانيين، لنكون تحت حكم سلطانها فلا يصلنا الغزاة.

آخر: بل لا بدّ من مواجهته، وإنها لمذلة أن نخرج من قريتنا هكذا، أو نسلمها له كلقمة سائغة.

أليست هذه شيم العرب يا رجال؟

يتعالى صوت الجميع تأييداً له.

يلتفت الشيخ عجلان لمراد: ما قولك يا مراد؟

ينظر مراد للجميع من حوله قائلاً: علينا أن نقاتلهم.

إن لم ندافع عن وطننا، فسوف يلحقنا العار نحن وأبناؤنا إلى الأبد.

أحد الأشخاص: ما تقوله الحقُّ أيها العرّاف.

يقف الأشخاص الذين طالبوا بالاستسلام، ويستأذنون الشيخ عجلان بالخروج.

الشيخ عجلان: من أراد أن يسلك مسلكهم فله الخيار.

يجيبه الجميع: بل نحن معك يا شيخ عجلان.

يستأنف مراد كلامه: إن هذه القرية أعطتنا الكثير، لقد آوتنا من برد الشتاء وأطعمتنا من مياه البحر ، وكانت لنا منزلاً وسكناً، أنتخلى عنها لهؤلاء الغزاة؟ إننا لا ندافع عنها وحسب، بل ندافع عن أنفسنا، عن كرامتنا وعزتنا.

تتعالى الأصوات بالتأييد.

الشيخ عجلان: حسناً يا رجال، لقد حسم الأمر، علينا أن ندافع عن أنفسنا وقريتنا، وربِّ العزة والجلال إن الأرض في مقام العرض، بل هما ثِقلان وعلى الميزان متساويان.

يهتفون جميعاً محيّين الشيخ عجلان.

ـ الآن وبعد أن حزمنا أمرنا، علينا إعادة تهيئة الحصن بأسرع وقت ممكن، حتى يتحول إلى نقطة مراقبة دائمة، وأن نشكّل فرق حراسة على كافة مداخل القرية.

ينطق الجميع بعبارات التأييد والطاعة للشيخ عجلان، الذي يأمر الجميع بالانصراف، عدا نفر من أتباعه وشباب القرية.

ـ أنت يا يافع ستكون مسؤولاً عن الحصن.

ـ أمرك يا شيخ.

ـ وأنت يا مصبّح عليك أن تنشر رجالاً مهمتهم حراسة مداخل القرية.

ـ أمرك.

يخرج الجميع عدا شخص واحد.

ـ استمع إليّ يا خلف، سأرسلك في مهمة غاية في السرية، لا أريد لأحد ، مهما كان، أن يعرف عنها شيئاً.

ـ أمرك يا شيخ.

ـ سأزوِّدك برسالة تذهب بها من ساعة كتابتها إلى مضارب قبيلة النوايفة.

ـ أمرك.

ـ ولكن عليك أن تدخلها ليلاً ومن دون أن يشعر بك أحد، ما عدا الشخص المقصود.

أَتَعي ما أقوله لك؟

ـ سأنفِّذ يا شيخ كل ما تطلبه مني تماماً.

ـبارك الله فيك يا بني.

إن مصير الوصل مرهون بنجاحك في هذه المهمة.

يعود مراد وفاضل إلى منزلهما، وفاضل في قمة انفعاله.

يلتفت إلى مراد بوجه غاضب.

ـ مراد. ما الذي قلته للقوم في المجلس؟

يرد عليه مراد بحزم قائلاً: قلت ما يرضي ضميري يا فاضل.

ـ مراد إنها الحرب، أَتَعي ما هي الحرب؟

ـ لسنا من فرضها.

ـ ولكنه الموت.

ـ وماذا تريدنا أن نفعل؟

يدنو منه.

ـ مراد كفى، أرجوك كفى، فلْنغادرْ هذه القرية، ولْنبحث لنا عن بلد نعيش فيه بأمان.

ـ والوصل؟

ـإنها قرية صيادين، كيف لنا أن نضحّي من أجلها؟

ـإنها الوطن يا فاضل.

ـ (بانفعال) أي وطن؟ قرية البحارين هذه تقول عنها وطناً!

ـ أليست هذه الحقيقة؟

ـ الحقيقة أن هذا القرصان المتوحش القادم من جحيم الصحراء، سيقتل كل أهل هذه القرية في ساعات.

يلوذ مراد بالصمت.

صدّقني يا صديقي لن نصمد أمام هؤلاء القوم المتوحشين الذين لا يتورّعون عن القتل لأتفه الأسباب، علينا بل على أهل القرية أن يخرجوا منها، وأن يبحثوا عن مكان آمن يعيشون فيه.

يدير مراد ظهره له.

ـ مراد ما قولك؟

يلتفت إليه قائلاً: (بحزم) الوصل هي الوطن يا فاضل.

ـكلّا إنها الوصل قرية صائدي السمك.

ـ بل إنها الوطن وأنت تدرك هذا جيداً، الوصل هي دبي ودبي هي الوصل، إنها جزء من وطننا الذي يمتد على طول مئات الكيلومترات من هذا الساحل.

ـ ولكنه لم يولد بعد.

ـ ولكن الوطن هو الوطن.

ـ أي وطن هذا؟ مجرد ساحل صحراوي خالٍ من كل شيء.

ما هو الوطن يا فاضل؟

أهو في هذا الزمان هذه القرية، أو ذلك الساحل الخالي؟

أم إنه في عصرنا ذلك المطار الذي يدخلك إليه أو يخرجك منه؟

هل الوطن ناطحة السحاب؟ أو ذلك البرج؟ هل الوطن الأرض التي تمشي عليها أو الأرض التي ستُدفَن فيها؟

هل هو المال الذي تحصل عليه؟ أو تلك الامتيازات التي تتمتع بها؟

أجبني أين وطنك الذي تعرفه من كل هذا؟

يُعرض فاضل عن الإجابة.

ـ الوطن هو نحن يا فاضل... نحن ...

إنني لا أدافع عن قرية أو مدينة، أو بحر أو برٍّ أو صحراء، ولا عن برج يعانق الغيوم، ولا عن ناطحة سحاب، لا أدافع عن سفن ويخوت ولا عن بيوت وقصور، إنني أدافع عن نفسي وأهلي وقومي، أدافع عن كرامتهم وعزتهم وإبائهم، نحن الوطن يا فاضل، إنه إنسانيتنا وشرفنا ومروءتنا.

إن هذا الوطن بما فيه، وبما بنيْنا عليه، دفاعنا عنه لأنه منّا ونحن منه، إنه من دوننا ليس بوطن ونحن من دونه بلا وطن.

قد نكون أنا وأنت تائهين في غياهب الزمن، ولكننا حتماً نعيش في الوطن، وبين أناس هم حتماً الشعب الذي ننتمي إليه.

فاضل، الوطن في زماننا هو الوطن في هذا الزمان، أوَ لوْ كنا في زماننا واحتاج الوطن إلينا ألن ندافع عنه أو نلبي نداءه؟

ـ (ببرود) حقاً.

ـ الواجب هو الواجب في كل زمان ومكان يا عزيزي.

والوطن في هذا العصر بحاجة لأن ندافع عنه، أو نتركه فقط لأننا لا نعيش فيه في عصرنا وزماننا؟

يُجيبه فاضل بسخرية: رائع يا مراد، خطبة عصماء في زمن الوصل. أتمنى أن يدوّنها التاريخ في الخط الزمني الذي نشأ من لحظة دخولنا إليه.

ـ حسناً يا فاضل، لقد قلت ما عندي، ولك أن تفعل ما تشاء، ولكن إن أردت المغادرة فلا تغادر في النهار، لئلا يراك أهل القرية وأنت تتخلى عنهم، وليكن هذا آخر طلبٍ أطلبه منك.

ـ (بامتعاض) حسناً سأفعل.

ـ للأسف يا فاضل، للأسف، القرية التي أظلتك وآوتك وأطعمتك وسقتك، وقدّمت لك كل شيء تتخلى عنها الآن! لقد اعتبرك أهلها واحداً منهم بالرغم من عدم تيقُّنهم من حقيقة أمرك. والآن تتخلى عنهم بكل هذه السهولة، وأنت الذي تعلم علم اليقين أن هذه القرية هي بذاتها تلك المدينة التي كنت، وما زلت تفتخر بالانتماء إليها والعيش فيها.

تجاهر بحبها بل وعشقها، وهي مدينة مزدهرة عامرة، وتحتقرها وهي قرية صغيرة ضئيلة.

تفخر بها لأنها تلك المدينة التي يعرفها القاصي والداني، وتنكر انتماءك لها، لأنها الآن مجرد قرية صائدي السمك.

يستمع إليه فاضل بتأثر، ثم يغادر المنزل متضايقاً متألماً.

* * *

يصل الزعيم إلى مضاربه. ما إن يهلّ المساء حتى يجتمع بقادته، ويأمرهم بإعداد المقاتلين للاستيلاء على الوصل.

يذهبون على الفور لإعداد الخطط اللازمة لجمع المقاتلين، وتجهيز معسكرات التدريب.

بعد عدة أيام، في الليل، وبينما هو مجتمع مع مريديه يُقْبل إليه أحد سكان الوصل.

ـ تأخرت علينا يا سالم.

ـ عذراً أيها الزعيم، فقد احتجت وقتاً لترتيب أموري وشؤوني.

ـ فما الأخبار عندكم؟

ـ القوم مجمعون للدفاع عن قريتهم، ولم أنجح لا أنا ولا الذين معي في ثَنْيهم عن ذلك.

ـ فماذا فعل الذين معك؟

ـ إنهم يتجهزون للرحيل عن القرية مثلي.

ـ إننا نعرف بعضنا منذ زمن بعيد ، وقد لمحتك وأنت مع قوم عجلان، وخمنت بأنك ستوافيني في أقرب وقت ولم يخب ظني.

ـ إنني من مواليك أبيتَ اللعن، فأنت الزعيم الذي يفتخر المرء باتباعه.

ـ ليتك أسمعت عجلان هذا الكلام، إلا أنه بدا لي أنه مَلَّ الحياة، لأنه يعرف علم اليقين أن لا أمل له بالانتصار علينا، فصائدو السمك لا يمكنهم أن يتغلبوا على مقاتلين محترفين أمثالنا، أليس كذلك يا سالم؟

ـ هو كذلك إلا إذا...

يُصدَم الزعيم غليص من رده.

ـ إلا إذا ماذا؟

ـ إلا إذا...

ـ قل!

ـ إلا إذا استعان بأخيه سلطان بن ظافر.

ـ أتقصد ذلك المقاتل الملقب بـ «زيبق الصحراء»؟

ـ نعم هو.

ـ أهو أخوه.

ـ بل شقيقه، وهو مقاتل عنيد.

ـ وأين دياره؟

ـ حسب علمي فإنه يعيش منذ أكثر من خمس سنوات عند النوائق.

ـ اللعنة! كيف فاتني هذا؟

يطلب فتّاح فيأتيه على الفور.

ـ اسمع يا فتّاح ، عليك منذ الآن أن تختار أربعة رجال، وترسلهم إلى مضارب بني النوائق، وتراقبون شخصاً هناك اسمه سلطان بن ظافر، فإن غادر إلى أي مكان فأبلغوني فوراً، وليبقَ اثنان منكم ضالعيْن في مراقبته دون انقطاع.

ـ أمرك أيها الزعيم.

ثم يلتفت إلى سالم.

ـ إن هذا الرجل إن جمع المقاتلين من حوله فسوف يفسد خطتنا.

ـ لا شك في ذلك أيها الزعيم.

ـ ولكن قلْ لي ما شأن ذلك الشاب الأفّاق الذي كان بجانب عجلان.

ـ أتقصد مراداً العراف؟

ـ لا أعرف ما اسمه، ولكنه كان يقول: إن الوصل سيأتيها قوم من العرب يعمرونها.

ـ إنه مراد العراف.

ـ العراف!

ـ لقد وجدوه مع صديق له تائهاً في الصحراء من سبعة أشهر، وكان سبباً في نجاة دباة ابنة عجلان من الغرق، فزوَّجها له.

ـ هذا مثير.

ـ ودائماً ما يبشّر بأن الوصل سوف تصبح مدينة كبيرة وعامرة بالناس والبضائع.

ـ الوصل ستصبح مدينة كدمشق يا للعجب!!

إن هذا الساحل حار جداً ورطب فكيف يمكن أن يحدث ما يقوله؟

ـ أَفأبلِّغكم بموعد تحقُّق نبوءته؟

ـ يقول: بعد خمسمائة عام.

ـ سنكون نحن تحت التراب إذاً.

ـ إنه مجرد كلام لا وزن ولا قيمة له.

يقف الزعيم فيقفون له، فيأمرهم بالجلوس، ويأخذ سالماً إلى خارج الخيمة.

ـ وكيف سيكون ذلك؟

يقول بأن رهطاً من العرب سيأتي إلى هذا الساحل وتنشأ فيه مدن وإمارات.

ـ يا للهول!! أسيحدث هذا حقاً، أن تهاجر قبائل من العرب إلى هذا الساحل فتعمره؟

ـ هو يقول ذلك.

ـ نبوءته تستحق التأمُّل والنظر.

ـ هل تأثرث بهُرائه أيها الزعيم؟

ـ ليس الأمر كما ذكرت. ولكنْ أن يقول إن قرية الصيادين تلك سوف تتحول إلى مدينة يرتادها الناس، كلام يجب ألا يمرّ مروراً عابراً هكذا.

ـ إنه كلام فارغ دون شك.

ـ ولماذا إذاً يقول ذلك وما مصلحته؟

يصمت.

ـ هل لديك تفسير لذلك؟

ـ في الحقيقة لا أعرف لمَ يتفوَّه بمثل هذه الترَّهات؟

ـ ودباة أجميلة هي؟

ـ إنها من أجمل فتيات القرية.

ـ وقد غنمها هذا الشاب المخادع.

ـ ولكن عندما تكون أنت سيد القرية فسيكون كل شيء مختلفاً.

ـ ماذا لو اتخذتها نواة لإمارة يتوارثها أبنائي وأحفادي من بعدي؟

ـ الوصل!

ـ نعم الوصل.

ـ ولكنها قرية بحارة وصائدي أسماك.

ـ معي لن تكون قرية للصيادين، ستكون أيضاً قرية لمقاتلي الصحراء الأشاوس.

ـ لمَ لا، يمكن ذلك جداً؟

ـ إذاً سنحقق نبوءة هذا الشاب الماكر، ولكن على سجيتنا ووفقاً لما نريده.

ـ لا أحد أحق بالوصل منك يا ليث الصحراء.

تتعالى ضحكاتهما ليعودا إلى المجلس بعد أن عقد الزعيم غليص نيته الاستيلاء على الوصل وتحويلها إلى مقر لسلطته.

* * *

في الوصل كان الأهالي بقيادة الشيخ عجلان يتدربون على القتال ومعهم مراد، بينما قرر فاضل مواصلة عمله عند النوخذة ربيع، لجمع أكبر قدر ممكن من المال للرحيل.

يلتقي مراد بدباة.

ـ مراد إنني أخشى عليك؟

ـ من أي شيء؟

ـ من....

ـ أعلم ، لا يهمني الموت، سوف أدافع عن دياري وأهلي.

ـ ولكن أنتَ يا حبيبي لست مجبراً على ذلك، إنه عصر غير عصرك وزمان غير زمانك و....

يضع يده على فمها.

ـ ولكنه الوطن، وإن كان في زمان غير زماني، وهؤلاء القوم هم أهلي وإن كانوا في عصر غير عصري.

دباة ، علينا مواجهة القدر بشجاعة، هذا واجبنا وعلينا أن نؤديه بشجاعة أيضاً.

* * *

يعود مراد للتدريب.. يستدعيه الشيخ عجلان.

ـماذا عن فاضل يا مراد؟

ـ لقد قرر الرحيل.

ـ ولكن اطلب منه أن يأتي إلى هنا للتدرب على القتال، فرحلته إلى الشام ليست للنزهة، وقد يواجه قطّاع طرق ومخاطر أخرى، وعليه أن يتدرّب للدفاع عن نفسه.

ـ حسناً سأخبره.

في الليل وبينما فاضل يستريح من تعب عمل اليوم ، يدخل عليه مراد.

ـ فاضل، لقد طلب مني الشيخ عجلان بأن تتدرب على السلاح.

يجيبه فاضل بشحوب.

ـولماذا؟

يدنو منه مراد.

ـ أو لست تريد السفر إلى الشام؟

ـ بلى.

ـ إذاً عليك الذهاب إلى معسكر للتدرّب على القتال، لأنك قد تواجه مخاطر على الطريق، وعليك تعلّم الدفاع عن نفسك.

ينظر إليه فاضل بوجه متأثر ويطرق رأسه إلى الأرض ثم يرفعه بحرقة.

ـ أحقاً قال لك الشيخ عجلان ذلك؟

ـ نعم.

يقف فاضل ويبكي... يدنو منه مراد.

ـ ما الذي يبكيك يا فاضل؟

ـ أهل هذه القرية.

بينما سأغادرهم، وبهذا فأنا في حكم المتخلي عن واجبي تجاههم، يقدمون لي معروفاً آخر، وهو أن يدربوني على القتال والدفاع، لا للقتال معهم والدفاع عن قريتهم بل عن نفسي وحسب؛ لذا فأنا أشعر بالعار والخجل من ذلك.

ـ فاضل لست مجبراً على فعل أي شيء لست مقتنعاً به.

ينظر إليه بوجه دامع حزين.

ـ مراد، سأكون معكم.

ـ فاضل!

يتعانقان ويبدآن فصلاً جديداً من صداقتهما.

يبدأ فاضل المشاركة في التدريبات، يبلّغ مراد الشيخ عجلان بأنه لن يرحل، وسينضم إلى الأهالي في الدفاع عن القرية. يسلّم عليه الناس ويشجعونه على التدريب. تمتلئ عيناه بالدموع.

ـ مراد.

ـ نعم يا صديقي.

ـ إنه الوطن حقاً.

يتعانقان ويتعاهدان على مقارعة الغزاة وحماية الوصل.

* * *

في منتصف الليل يدخل الشيخ خالد إلى قرية الوصل. يمشي في أرجائها بهدوء تام.

ـ إنها الوصل، إنها كما هي لم تتغير.

يسمع أصوات شخصين قادمين فيختبئ منهما.

ـ هيّا بنا لنذهب إلى منزل الشيخ عجلان لنخبره بأننا قبضنا على عابر سبيل.

ـ لا بد من ذلك، فقد يكون أحد أعوان غليص.

يذهبان فيتعقبهما. يصلان إلى منزل الشيخ عجلان الذي يأمر بإحضاره.

ـ إن منزله به عدد غفير من الحرس، ولكن لن تغلبني يا عجلان.

يدقق الشيخ خالد في عدد من البيوت المطلة على منزل الشيخ عجلان، يكتشف أن الحراسة ضعيفة في أحد المواقع المطلة على المنزل، يذهب إليه من الناحية الأخرى ويتسلقه بخفة، ينتظر

مدة من الزمن، ينتهز الفرصة، ويقفز إلى منزل الشيخ عجلان، ثم يدخله من السطح في هدوء تام.

ـ ألم أقل لك لن تغلبني يا عجلان!

يمر على إحدى الغرف، فيشاهد ابنة أخيه دباة جالسة مع إحدى أخواتها.

ـ ما مصيرنا إنْ تغلّبوا علينا؟

ـ لا تقولي ذلك، سننتصر عليهم.

ـ ولكني سمعت أنهم محاربون شرسون.

يستمع لهما الشيخ خالد والابتسامة تغمر وجهه.

تغادر الأخت الغرفة لتبقى دباة وحيدة والبكاء قد تمكن منها.

ـ يا رب انصر قريتي على هؤلاء الغزاة.

يتسلل الشيخ خالد لغرفة دباة من دون أن تلاحظه.

يضع يده على كتفها من الخلف.

ترتعب دباة وتنظر خلفها . تتفاجأ بعمّها واقفاً أمامها.

ـ عمي خالد!

ترتمي في حضنه باكية.

ـ لا تخافي يا دباة، ما دمتم مصممين على النصر فسوف تنتصرون.

ـ عمي الحبيب، أكثر من خمس سنوات لم أرك.

ـ ماذا أفعل يا بنيتي؟ إنني لا أحب المشيخة كأبيك.

ـ تعال. سيفرح بك كثيراً، إنه محتاج لك أكثر من أي وقت مضى.

ـ لذلك عدت، ولكن قبل الذهاب لأبيك العجوز أريدك أن تحدثيني بكل أخباركم حتى اللحظة.

ـ حسناً.

* * *

يأمر الشيخ عجلان بإحضار الرجل المعتقل. يحقق معه أحد المقاتلين، فيطمئنون إلى أنه ليس من طرف الزعيم غليص، فيطلقون سراحه على أن يغادر القرية في الصباح الباكر.

يستعد الشيخ عجلان للنوم، إلا أنه يذهب قبل ذلك على عادته للاطمئنان على بناته وأهل بيته، فيمر على غرفة دباة.

ـ هل أنت بخير يا ابنتي؟

ـ أنا بخير يا أبي.

ـ هل تحتاجين إلى شيء؟

ـ لا يا أبي.

فجأة يسمع شخص يكلمه من وراء لثام.

ـ أنا هنا يا عجلان، ولن تفرّ مني.

فجأة يظهر له الشيخ خالد متنكِّراً، ويسارع إلى إقفال الباب لئلا يطلب الشيخ عجلان المساعدة .. تقف دباة إلى جانب أبيها، تكاد تنفجر من الضحك.

ـ من أنت؟ وماذا تريد؟

ـأنا من أتباع غليص.

ـ وهل جرت العادة أن تهاجموا أعداءكم في مخادعهم وتروّعون أبناءهم، بدلاً من أن تواجهوهم في ساحة القتال؟

تنفجر دباة من الضحك، فيتعجب الشيخ عجلان أشد العجب.

ـ ما هذا؟ كيف تضحكين في موقف كهذا؟

يغيّر الشيخ خالد من نبرة صوته.

ـ أنت كما أنت يا عجلان لم ولن تتغير.

يُصدَم الشيخ عجلان.

ـ أنت.

يميط اللثام عن وجهه.

ـ أنا شقيقك الشقي!

ـ خالد ، هذا أنت!

(يتعانقان عناقاً حاراً).

ـ تباً لك يا خالد، كيف سوّلت لك نفسك التسلل إلى منزلي في منتصف الليل؟ وكيف لم يرك الحرس؟

ـ ألم تعلم أن شقيقك كان ومازال وسيظل زيبق الصحراء؟

يتحدث الشقيقان اللذيْن لم ير أحدهما الآخر منذ خمس سنوات بسعادة وشغف.

ـأين كنت طوال هذه المدة يا خالد؟

ـ أجوب البادية والبلدان.

ـ حمداً لله على سلامتك.

ـ الحمد لله.

ـ هل بلغك كتابي؟

ـ نعم، لذلك جئتكم.

ـ ولكن.

ـ اطمئن لقد أشعت بين النوائق بأني سأسافر في تجارة، ووضعت شخصاً مكاني للتمويه على عادتي، وما دام خارج مضارب القبيلة فلن يشك فيه أحد.

ـ طول عمرك فَطِنٌ يا خالد.

ـ لن يعرف غليص أنني هنا أبداً.

ـ بإذن الله.

ـ ولكن أعازمٌ أنت على مواجهته يا عجلان؟

ـ سأدافع عن القرية وأهلها، لن أسمح له بأن يغزونا في عقر دارنا وأن يذلّنا.

ـ إذاً القضيةُ ليست زعامتك للقرية.

ـ أنا مستعد للتخلي عن زعامة القرية في التوّ واللحظة، أنا أؤدي واجبي تجاه الوصل وأهلها ليس إلا.

ـ على كل حال فلنخلد للنوم والراحة الآن، فقد قاربنا الفجر، وغداً نجتمع وننظر في هذا الأمر الجلل.

* * *

في قبيلة الزعيم غليص كان القوم يتهيؤون للمعركة.

ـ هل كل شيء على ما يرام؟

ـ نعم يا زعيم، بعد عدة أيام سنكون جاهزين.

ـ أريدها معركة واحدة فاصلة مع صائدي الأسماك.

ـ نعم ولكن.

يلتفت إليه بغضب.

ـ ولكن ماذا؟

ـ أخشى من تدخل شقيق كبيرهم عجلان الشيخ خالد.

ـ اللعنة!

فجأة يصل فتّاح إلى المعسكر. يسلم على الزعيم ويقبّله على عادته.

يأخذه الزعيم من فوره إلى مقر إدارة المعسكر بصحبة نائبه وجعان.

ـ حدثنا يا فتّاح عن آخر الأخبار.

ـ الشيخ خالد ذهب في تجارة، ولن يعود قبل خمسة أو ستة أشهر على الأقل.

ـ أوَاثقٌ من ذلك؟

ـ نعم يا زعيم.

وزيادة في الحرص فقد دخل من جملة المسافرين في قافلته أحد رجالنا، وسيظل معه حتى يعود.

ـ هذا يعني بأن عجلان لم يستعن به.

وجعان:

كلا، ليس الأمر هكذا.

ـ ماذا تعني؟

ـ قد يكون رسوله دخل القبيلة سراً.

ـ ماذا تقول؟

ـ إن خالداً هذا داهية من الدواهي، وقد يكون مَنْ خرج للتجارة شخص آخر انتحل شخصه.

ـ (بغضب) وكيف نتأكد من افتراضك هذا؟

ـ فلننتظر عودة رجالنا من داخل الوصل، وحينها يمكن أن نقرر ما نفعل بالضبط.

ـ حسناً، فلننتظرهم إذاً.

* * *

في منزل الشيخ عجلان كان الشيخ خالد يجتمع معه ومع بعضٍ من أخصِّ مُقرَّبيه..

ـ عليكم مواصلة التدريبات والاستعدادت.

الشيخ عجلان: وأنت ماذا ستفعل؟

ـ سأغادر القرية، سيأتيكم رجال من طرفي يدربونكم على كافة فنون القتال، وسوف أظهر لكم في الوقت المناسب، لا تقلقوا سأكون في مكان لا يمكن لعيون غليص أن تراني على الإطلاق، المهم أن تثبتوا في القتال.

ـ اتفقنا إذاً، المهم أن تصلنا الأسلحة في الوقت المناسب.

يغادر الجميع المجلس ليبقى الشيخ خالد بمفرده. يستلقي ويأخذ غفوة، ولكن ما إن تغفو عيناه حتى يشاهد مراداً أمامه.

ـ عفواً لم أكن أقصد إيقاظك.

ينظر إليه الشيخ خالد بتمعن.

ـ يبدو أنك مراد أليس كذلك؟

ـ نعم أنا هو ولكن كيف عرفتني؟

ـ من هيئتك ومظهرك، ثم مَن الذي سوف يدخل منزل شيخ القرية في مثل هذه الساعة، إلا أن يكون من أهله.

ـ لم أتشرف بمعرفتك؟

ـأنا خالد شقيق الشيخ عجلان.

ـ (بانبهار) أنت الشيخ خالد، عفواً لم أعرفك.

ـلا بأس يا بني، تفضل بالجلوس.

يجلس مراد إلى جانبه ويكلمه بلهفة.

ـ سمعت عنك الكثير، وأنك ماهر في المعارك الحربية وفنون التسلل والتخفّي.

ـ هاهاها، لا تبالغ يا زوج ابنة أخي.

ـ ولكن الجميع هنا يقولون إنك لم تأتِ وإنك غائب.

ـ هذا صحيح.

ـ وها أنت هنا للمساعدة.

ـ لا شك بأني سوف أساعد الأهالي للدفاع عن قريتهم، ولكن عليهم أولاً إثبات قدرتهم على مقارعة الغزاة.

ـ وهذا ما يقومون به بكل جديّة.

ـ اصدقني القول يا مراد.

ـ نعم.

ـ هل أنت عرّاف حقاً؟

ـ (بابتسامة) هم يقولون ذلك عني ولست أدّعيه.

ـ وأنت ما تقول عن نفسك؟

ـ لست عرّافاً ولكني أعلم ما سيؤول إليه أمر هذه المنطقة علم اليقين.

ـ (باهتمام) أصحيح بأن الوصل سوف تتحول إلى مدينة كبيرة واسعة؟

ـ نعم.

ـ وتصبح مقصداً للناس؟

ـ حتماً.

ـ ولكنها ..

ولكنها قرية صغيرة.

ـ صحيح.

بغداد كانت مجرد بقعة خاوية بالقرب من نهر دجلة.

ـ حسناً، وكيف سيحدث هذا؟

ـ سيستوطنها رهط من العرب يُعْلون من شأنها.

ـ أمر عجيب.

ـ وما العجب؟

ـ أتهاجر قبائل العرب إلى هذا الساحل المغمور؟

ـ سيفعلون في يومٍ ما.

ـ حسناً يا بني، تعال معي.

يتنكر الشيخ خالد بهيئة أحد المدربين على القتال في معسكر القرية، ويذهب معه إلى الحصن. يصعدانه حتى يصلا إلى قاعدته، ثم يأمر الشيخ خالد الحراس الموجودين فيه بالنزول.

ـ ها نحن يا مراد في الحصن، حيث نرى القرية والصحراء والخور من الأعلى.

ـ فما القصد من صعودنا إليه؟

ـ حاول أن تصف لي الوصل بعد أن تصبح مدينة كبيرة مزدهرة.

ـ أصفها.

ـ نعم ، ركِّز وصفها لي.

حاول أن تصفّي ذهنك وانظر إليها جيداً.

ـ حسناً سأحاول.

يغمض مراد عينيه. نبضات قلبه تتسارع. يرتفع ضغط دمه. يشعر بثقل كبير في رأسه. يفتح عينيه فيشعر بحرارة شديدة فيهما. يُشيح بوجهه عن الشيخ خالد، وينظر إلى الأسفل.

ـ مستحيل!

ـ ما المستحيل يا مراد؟

ـإنني أراها!

ـما الذي تراه؟

ـ دبي.

ـ ما دبي؟

ـ المدينة التي سوف تشيد هنا.

ـ فما ترى فيها؟

ـ أرى عمارات شاهقة.

ـ ما العمارات؟

ـ بيوت مبنية بعضها فوق بعض.

ـ أكمل.

ـ أشاهد ناطحات السحاب بوضوح تام.

ـ فما هي هذه؟

ـ بيوت متصلة في طولها إلى عنان السماء.

ـ عجيب، فماذا تشاهد أيضاً؟

ـ أشاهد بَرّ دبي وأرى ديرة بوضوح.

ـ فما برّ دبي وما ديرة؟

ـ إنها أحياء دبي الكبرى.

ـوأين ذلك الشارع الذي تحبه؟

ـ تقصد شارع السبخة؟

ـ لا أعلم ما اسمه، ولكن لعله هو.

ـ إنه هناك.

ـأتراه؟

ـ نعم أراه.

إنه يعج بالناس والمتسوقين.

ـ وماذا ترى أيضاً؟

ـ أرى....

فجأة يشعر بإنهاك شديد فيخرُّ على الأرض. يمسك به الشيخ خالد على الفور.

ـ ارتح وتنفس بعمق.

يسترد أنفاسه، ويشعر بالاسترخاء.

ينظر مراد إلى الشيخ خالد متعجباً.

ـ كيف عرفت عن شارع السبخة؟

ـ هاها، اسمه شارع السبخة إذاً، لقد حدثتني عنه دباة وقالت إنك شغوف به.

ينهض مراد، وينظر إلى الأسفل فلا يرى سوى الصحراء.

ـ لقد اختفت دبي ثانية.

ـ لابأس، لقد وصفتها بدقة.

ـ هل تصدقني يا شيخ خالد؟

ـ نعم أصدق كل كلمة قلتها.

ـ حقاً؟

ـ ولكنك لم ترَ ما رأيته.

ـ لقد تكلمت بقلبك وكان لسانك مجرد ناقل، لذلك فإني أصدقك، لقد شاهدت ببصيرتك المدينة التي تحبها، ولا يمكن أن يكون ما قلته هراء أو دجلاً.

يعانق مراد الشيخ خالد.

ـحسناً هيا بنا يا بني لندافع عن الوصل سوية.

في مضارب الزعيم غليص كانت الاستعدادات مكثفة للهجوم على الوصل.

كان الزعيم جالساً مع أصحابه عندما جاءه أحد جواسيسه في الوصل.

ـ أخبرنا بما شاهدته هناك؟

ـ إنهم يتجهزون للدفاع عن قريتهم.

ـ ألم تشاهد غرباء أو سمعت شيئاً عن الشيخ خالد؟

ـ كلا لم أسمع عنه شيئاً، ولكني رأيت بعض الغرباء الذين جاؤوا ليدربوا الأهالي على القتال ويبيعوهم السلاح.

ـ هل مشَّطتم محيط القرية؟

ـ نعم أيها الزعيم، ولم نلاحظ أي شيء غير اعتيادي.

ـ حسناً اذهب.

ـ أمرك.

ـ ماذا تقولون يا رجال؟

أحدهم: يبدو أن خالداً لا يعرف عن أمر شقيقه شيئاً.

شخص آخر: وقد يكون قد عرف الأمر.

ولكنه مسافر في تجارة.

رجل آخر: كل شيء محتمل من خالد هذا فهو داهية.

الزعيم غليص: فماذا تقولون؟

نائبه وجعان: لا بد من الاستيلاء على الوصل، فلن تأخذ منا المعركة أكثر من ساعات، ولكنني أقترح أن نضع قوة احتياطية

بعيدة عن ساحة المعركة تحسّباً لأي مفاجأة.

ـ اقتراح حسن، سننفذه فوراً.

يقف الزعيم فيقفون معه.

ـ هيا.. جهّزوا أنفسكم، علينا أن نستولي على الوصل، التي سوف تكون نواة لإمارتنا القوية التي نبنيها، إمارة تجمع ما بين البحر والبر، الواحة والصحراء، البحارة والمقاتلين،

ـ التجار وقاطعو الطريق، يا لها من عناصر متنافرة في ذواتها! ولكنها معي أنا الزعيم غليص سوف تتحول إلى أعتى قوة في هذه الأنحاء.

* * *

في المعسكر كانت دباة تتدرب على القتال مع فتيات القرية، بإشراف والدها الشيخ عجلان، وبحضور مراد الذي كان ينظر إليها بإعجاب.

فجأة يصلهم أحد المقاتلين منادياً الشيخ عجلان بأعلى صوته.

ـ جيش كبير من العربان في طريقه نحونا.

يسود الجميع الصمت المشوب بالصدمة.

ـ يا شيخ عجلان، إنهم قادمون. قادمون.

ـ (بحزم وثبات) كم بقي على وصولهم؟

ـ أقل من يوم، لقد شاهدهم رعاة الإبل، وبعض العرب متجهين نحونا.

يلتفت الشيخ عجلان إلى من حوله.

ـ حسناً لقد حانت الساعة يا رجال، فلنكن على قلب رجل واحد في الدفاع عن أنفسنا وأهلنا وأرضنا.

يهتف الجميع مؤيدين ليبدؤوا بتنظيم صفوفهم.

يمسك مراد بيد دباة.

ـ دباة أرجوك، ليس هناك من مبرر لتشاركي أنتِ والفتيات في هذه الحرب.

تجيبه دباة بحزم قائلة: مراد، نحن بنات العرب والبادية، ولسنا بنات المدن والأقضية، عار علينا أن نختبئ، لا بد أن نواجه ما يواجهه أهلنا.

ـ أخشى عليك يا دباة.

ـ فليصبني ما يصيب أهلي.

ينظر إليها مراد بألم وحرقة.

ـ لن يمسَّك سوء أليس كذلك؟

ـ إن السهام عمياء يا مراد.

تبكي وتغرب عنه ملتحقة بالفتيات.

يجتمع المقاتلون على مدخل القرية الرئيس المطل على الصحراء، ثم ينتشرون على المداخل الأخرى وفي داخل القرية.

فاضل: مراد إن الوضع خطير جداً.

ـ نعم إنه كذلك.

ـ قد نقتَل وسط كل هذا الجنون.

ـ وماذا نفعل؟

ـ إنني مقتنع بأننا نخوض معركة الدفاع عن الوطن، ولكن في زمان غير زماننا وفي عصر غير عصرنا.

ـ ولكنه الوطن سواء في زماننا أو زمان غيرنا. أليس كذلك؟

ـ (بامتعاض) نعم ولكن..

يقطع حديثهما نداء مجلجل.

عسكر الزعيم غليص قادمون.

يسمعون صهيل الخيول ورغاء الجمال وصليل السيوف وقعقعة السلاح.

تمرّ عليهم الدقائق كالساعات.

القلق والخوف يسودان الجميع، فهم سيخوضون معركة حقيقية لأول مرة في حياتهم. تصل طلائع جنود الزعيم غليص. يتجمعون شيئاً فشيئاً.

ما إن يكتمل عددهم حتى يتقدمهم الزعيم غليص ونائبه وجعان.

تمر لحظات من الزمن، كان فيها الجميع صامتاً، إلا أن غليص يبدأ حديثه الذي يوجهه إلى الشيخ عجلان.

ـ لا تلقِ بنفسك ومن معك يا عجلان إلى الهلاك، من أجل قرية هي حيٌّ من أحياء الشام أو بغداد ، سلِّم لتسلم ، فإما أن تبقى عزيزاً مكرّماً عندي، وإما أن تغادر إلى أي بلد تحب، ولك مني الأمان ولكل أهل القرية.

يُعرض الشيخ عجلان عن جوابه إلا أن أحد مساعديه يرد عليه.

ـ تُغيرون علينا في عقر دارنا وتريدون أن نستسلم لكم، إن هذا هو الذل والعار.

الزعيم غليص: ويحك! عوضاً من أن تحفظ نفسك ونفوس قومك، تتبجح بمثل هذا الكلام الذي لا طائل منه.

تثور ثائرة مراد.

ـ ارحل يا غليص عن قريتنا، إنها ليست لك ولن تكون.

ينظر له غليص بازدراء.

ـ ولمن ستكون يا ترى؟

ـ لمن كتبت لهم الأقدار أن تكون لهم، وسوف تتحول هذه القرية إلى بلد يعرفه جل الناس، ولن أسمح لك بأن تغيّر مجرى التاريخ.

ينظر غليص إليه بغضب إلا أنه سرعان ما يضحك فيضحك معه قومه.

ـ اسمعوا ما يقول هذا المخادع!

يستمرون في الضحك.

بلدة منكرة بين البلدان سوف تتحول إلى أم للقرى؟

ثم يوجّه خطابه إلى قوم الشيخ عجلان.

لا يأخذنّكم هذا إلى ما فيه هلاككم ، سلّموا لتسلموا.

يجيبه الشيخ عجلان.

ـ لن يحدث هذا، أليس هذا يا رجال؟

يهتفون جميعاً بهتافات التحدي.

يسل الزعيم غليص سيفه فيتبعه رجاله.

هيا يا رجال إلى المعركة.

يهجمون على قوم الشيخ عجلان الذين سرعان ما يزحفون نحوهم، لتبدأ معركة حامية بين الطرفين.

تلتحم السيوف بعضها مع بعض.

يقف الزعيم غليص فوق تلة لمراقبة سير المعركة. بينما يقف الشيخ عجلان على تلة مماثلة.

تنزف الدماء ويختلط بعضها ببعض. يقتل عدد من مقاتلي الوصل.في الخلف كانت دباة مع النساء والفتيات يقدمن الرعاية للمقاتلين ويواسين الجرحى.

وكان فاضل ومراد في صفوف متأخرة يدافعون عن القرية من الجهة الغربية.

قائد الجهة الغربية: فلتستعدوا لإطلاق السهام.

أحد المقاتلين: أمرك.

يأخذ مراد فاضلاً على انفراد.

ـ ماذا ترى يا فاضل؟

ـ الهزيمة المنكرة.

ـ لماذا هذا التشاؤم؟

ـ هذه هي الحقيقة.

يخرج مراد من الصف الخلفي محاولاً الانضمام إلى الصف الأول.

قائد الجهة الغربية:

ـابتعد يا مراد إن الأمر خطير، السيوف لا ترحم أحداً.

في الجبهة الرئيسة يستعر القتال.

تتراجع القوات المدافعة عن القرية إلى الداخل، بينما تتقدم قوات الزعيم غليص.

.. تنتشر الفوضى في صفوف قوات الوصل.

الشيخ عجلان:

ـ اثبتوا، سوف نهزمهم عما قريب.

في معسكر الزعيم غليص كانت الفرحة غامرة.

ـ ألم أقل لكم إننا الغالبون.

نائبه وجعان: ومن ذا الذي لا يصدق ليث الصحراء وبطل البادية الصنديد.

على كل، نصرنا محتّمٌ وهزيمتهم مقدرة، إذ كيف لبحارة وصائدي أسماك أن يتحولوا إلى مقاتلين أشداء بين ليلة وضحاها؟

وبينما معسكر الوصل يغرق في الفوضى كان الشيخ عجلان ثابتاً في مكانه.

الزعيم غليص: استسلم يا عجلان قبل أن آخذك أسيراً.

ينظر إليه الشيخ بثبات.

ـ لم ولن أخسر يا غليص.

ـ يا لك من مغرور متعالٍ يا عجلان! تلقي بهؤلاء القرويين إلى الموت من أجل بقائك عالياً بينهم.

يعرض عنه عجلان الذي ينظر إلى الأفق البعيد بنشوة عارمة، ثم يأمر بمثول مراد بين يديه.

يأتي مراد على الفور.

ـ اذهب يا مراد وارفع هذا العلم فوق البرج.

ينظر إليه مراد بتعجب.

ـ هيا ماذا تنتظر؟

ـ سأفعل!

يذهب مراد برفقة فاضل إلى الحصن الذي كان خالياً. يصعدانه بسرعة.

يرفع مراد العلَم وينصبه ليرفرف خفاقاً.

ـيا إلهي انظر إلى هذا العلم يا مراد!

ـيا للهول!

ـ إنه يحوي الألوان الأبيض، والأسود، والأخضر، والأحمر.

ـإنها الألوان التي ترمز للوحدة العربية. أليس كذلك؟

ـ نعم إنها هي.

ـ ولكن كيف لهذه المصادفة أن تحدث؟

ـ إنها ليست مصادفة يا فاضل، إنها مشاعر عميقة دفينة تتوارثها أجيالنا العربية منذ مئات السنوات.

لم تمر دقائق معدودة على رفع العلم حتى يشاهدا عشرات المقاتلين وقد تدفقوا من ناحية الخور لمساندة قوات الوصل.

فاضل: يا إلهي من هؤلاء؟

ـإنهم جنود الشيخ خالد شقيق الشيخ عجلان.

ـ ولكنْ أشيع بأنه غير موجود.

ـ الحرب خدعة يا صديقي!

يمسك كل منهما بيد صاحبه.

ـ مراد، لا شك في نصرنا على الغزاة.

ـ النصر لنا، فلنذهب لمساندة الأهالي.

يتدفق مقاتلو الشيخ خالد في كل اتجاه. يشاهدهم الزعيم غليص.

ـ من هؤلاء يا وجعان؟

ـ فعلاً من هؤلاء؟

يلطمه على وجهه.

ـ لا شك أنهم أتباع خالد.

ـ يا إلهي، إن الكفة بدأت تميل إلى مصلحتهم.

ـ استعدوا لرمي السهام.

ـ أمرك يا زعيم.

ـ وخفف الضغط علينا بتسلل بعض مقاتلينا إلى داخل القرية.

ـ أمرك.

* * *

تصعد دباة مع عدة فتيات على سقف أحد المنازل لتشجيع المقاتلين على القتال والدفاع عن القرية وهنَّ يرددن:

ـ استبسلوا في القتال أيها الأبطال النصر لكم لا محالة.

ـ لا تجعلوا نساءكم مطايا لأعدائكم. قاتلوا لكي تحافظوا على عزتكم وشرفكم.

ما إن يسمعهم المقاتلون حتى ترتفع معنوياتهم ويستبسلوا في القتال.

ينضم فاضل لرماة السهام، بينما ينضم مراد لرماة الحجارة.

مراد: دعني أذهب لقتالهم بالسيف.

ـ لا يمكنك ذلك يا مراد، ستقتل على الفور، أنت لم تتدرب بما فيه الكفاية.

يصل الشيخ خالد إلى الجبهة الرئيسة، ويعانق شقيقه الشيخ عجلان.

ـ لقد أبدى رجالك بسالة في قتال غليص ورجاله.

ـ حقاً!

ـ تعرفني يا أخي بأني لا أجامل، ولكنهم يحتاجون إلى المزيد من التدريب.

ـ لن نكف عن تعلم فنون القتال بعد اليوم.

ـ هذا ما يجب أن تفعلوه، ولكن انظر إلى رجال غليص وهم ما بين أسْرٍ وفرٍّ، كم أشتاق لرؤية وجهه في هذه اللحظات.

يصل وجعان إلى غليص.

ـأيها الزعيم لقد انهزم رجالنا عند المدخل الغربي ومدخل الخور.

ـ ويلك!

ـ لقد باغتهم رجال خالد وهجموا عليهم بعد أن كادوا يقضون على رجال عجلان هناك.

ـ اللعنة!

ـ سيدي الأمر جد خطير، رجالنا ينهزمون.

ـ الويل لك يا خالد.

يلتفت غليص للعلم الذي يرفرف على البرج وإلى أناشيد الفتيات.

ـ ما هذا العلم؟

ـ إنه علمهم وراية قتالهم.

ـ لم يبقَ إلا هؤلاء السماكين يرفعون علم الحرب!

ـ بلغني أن مراداً العراف هو الذي رفعه.

ـ الويل له.

ـ وما الذي أسمعه من نسائهم في تلك الناحية؟

ـ إنهن يشجعن رجالهن على القتال.

ـ تباً!

ـ أصدر أمرك بالانسحاب فوراً.

ـ أمرك.

ـ ثم مُرْ أمهر القنّاصة بإصابة مراد العرّاف.

ـ حسناً سأفعل.

ـ وأرسل مجموعة من أشرس مقاتلينا، ليخطفوا دباة ابنة عجلان.

ـ ولكن!

ـ نفِّذ الأمر، على الأقل ستكون دباة ورقة رابحة نفاوض عجلان وخالداً عليها.

ـ أمرك.

يأمر وجعان فرقة من المقاتلين بالبحث عن مراد ورميه بالسهم وخطف دباة.

تبدأ الفرقة بتنفيذ الأمر على الفور.

يبحث أحدهم بين حشود المقاتلين عن مراد حتى يجده. يصوب سهمه نحوه بعد أن يختبئ في مكان ما.

مراد كان منشغلاً بقصف الأعداء بالحجارة. حركة مراد الدائمة تعطّله إلا أنه يثبت سهمه فيرميه تجاهه إلا أنه يخطئه.

يبحث مقاتلو الوصل عن مصدر السهم فيحاصرون الرامي ويعتقلونه.

يضغطون عليه، فيعترف بأنه أُرسل لقتل مراد، وأن آخرين ذهبوا لخطف دباة.

ما إن يسمع مراد بذلك حتى يمسك بالسيف، ويذهب مسرعاً إلى حيث دباة.

أثناء ذلك كان بقية أعضاء الفرقة يتهيؤون لاختطاف دباة. يهجمون على معسكر الفتيات فتتصدى لهم قوة الحماية، فيتمكنون من السيطرة على الموقع بعد قتال عنيف.

يبحث رئيسهم عن دباة، فلا يتمكن من تمييزها من بينهن.

يتقدم نحوهن مع ثلة من أتباعه.

ـ من منكن دباة؟

يَلُذْن بالصمت.

ـ تكلمْن وإلا قتلتكن جميعاً.

تخرج دباة من بينهن بشجاعة.

ـأنا دباة.

ـأحقاً أنت هي؟

ـ نعم أنا، خرجتُ إليك، ولست خائفة منك.

يشهر السيف في وجوه الفتيات. يمسك بدباة، ويقيدها ويذهب بها مع تابع له إلى الزعيم، وهي تصرخ صراخاً مجلجلاً.

يصل مراداً مع جماعة من المقاتلين فيبارزون الفرقة المسلحة. بينما يفر رئيس الفرقة مع تابعه نحو الزعيم غليص وبيديهما دباة، إلا أن مراد وأحد المقاتلين يلحقان بهما.

يشهر مراد سيفه في وجه رئيس الفرقة.

ـالويل لك ألم تُقتل بذلك القوس أيها الأفّاق؟

ـ دع دباة وشأنها.

ـ الويل لك!! من أنت لتأمرني؟

ـ سأقطّعك بسيفي إرباً إرباً.

يشهر سيفه. يهجم على مراد الذي يتقيه بقدر ما يستطيع. يبارزه ببسالة.

يهاجم مرافق مراد على مرافق رئيس الفرقة، إلا أنه كان أقوى فيصيبه في مقتل على الفور.

يكلمه رئيسه: انتظرني سأقتل هذا المحتال، وآتي لك على الفور.

يرد عليه مراد بغضب.

ـ بل أنا من سيقتلك.

يهجم عليه مراد بقوة فيصيبه في إحدى يديه.

يشتعل غضباً فيهاجم مراداً بشراسة.

يصيبه في يده، ثم يصيبه في ساعده.

تنزف الدماء من مراد، فيفرُّ منه إلى داخل منزل مهجور فيلاحقه.

ـ أين أنت يا أيها الأفاق؟ لن أدعك حتى أقتلك.

يوجّه له مراد ضربة في فخذ رجله اليسرى.

ـ الويل لك.

ـ لا تخف لن أقتلك إلا وجهاً لوجه.

يلتفت فيرى مراداً صاعداً إلى الأعلى فيلحق به من فوره.

يبارزه من جديد.

تابعُه يقيد دباة بالحبل ويسد فمها ويحجزها داخل منزل مهجور آخر، ثم يصعد لمساندة رئيسه.

ـ لا تتدخل، سأقتله أنا.

يهجم عليه بقوة هائلة فيسقط على الأرض.

يقف على مصرعه.

ـ ما رأيك الآن؟

ـ سأموت وقد أديت واجبي، وإن قتلتني فأنت لم ولن تقتل هذه القرية، فقد انتصرنا عليكم.

ـ الويل لك، خذ هذه الضربة قبل الأخيرة.

يغرس السيف في كتفه.

يصرخ مراد صراخاً عاتياً.

ينغرس السيف فيه انغراساً.

ينظران إليه بشماتة. فجأة. يبدأ مراد بالاختفاء من أمام ناظريهما.

يصيبهما الهلع.

ـ إنه يختفي من أمام ناظرينا.

ـ إنه شيطان!

ـ لقد قتلت شيطاناً!

ـ يا إلهي، ستنتقم منك الشياطين!

يصرخ مراد صراخاً مدوّياً.

إلا أنه يختفي تماماً عن أنظارهما. يسقط السيف الذي لعق به دمه.

ـ أمسكْ بالسيف!

ـ كلا أمسكْ به أنت.

يدنو منه رويداً رويداً. يمسك بيده شيئاً فشيئاً. يتحسسه قليلاً حتى يمسك به.

يتفحصه بكلتا يديه.

ـ حسناً، فلنخرج من هنا فوراً.

ما إن يخرجان من المنزل حتى يهجم عليهما أتباع الشيخ خالد.

يتصديان لهما. تدور بين الطرفين معركة حامية. إلا أنّ أتباع الشيخ خالد يتمكنون من قتل خاطف دباة وأسر تابعه.

ـ حسناً سأخبركم أين دباة، إنها في ذلك المنزل.

يهرعون إليها على الفور ويحرّرونها.

تبكي بكاء مراً. سرعان ما تصرخ صراخاً يملأ الآفاق.

ـ أرجوكم أنقذوا مراداً من سيوفهم.

أحدهم: أين هو؟

تشير إلى المنزل الذي اختفى فيه.

يهرعون إليه، إلا أنهم لا يرون له أثراً.

يستجوبون الأسير إلا أنه ينكر معرفته به.

تصرخ دباة صراخاً عاتباً، وتصرُّ على أنه يعرف مكانه.

تئن، تنتحب. تبكي بمرارة، إلا أنهم يأخذونها إلى منزل الشيخ عجلان بعد أن وعدوها بمواصلة البحث عنه.

ينسحب الزعيم غليص وما تبقى من مقاتليه.

سأعود إليكِ أيتها الوصل في يومٍ ما لآخذ بثأري.

* * *

يمشط مقاتلو الوصل القرية ومحيطها، ينتشلون جثث شهدائهم، ويبدؤون بتنظيف طرق القرية وأزقتها من آثار المعركة التي استمرت زهاء اليومين.

يبحث فاضل عن مراد فلا يجده.

الشيخ عجلان: هل وجدته يا بني؟

ـ كلا، لم أجده ، لا بين الجرحى ولا بين القتلى.

ـ لعله موجود هنا أو هناك.

أو لعله خطف من قبل غليص ورجاله.

ـ لا أظن ذلك.

يدخل الشيخ خالد على دباة.

ـ (ببكاء) أين مراد يا عمي؟

ـ صدقيني لا نعلم عنه شيئاً.

ـ اصدقني القول، هل قتل؟

ـ صدقيني لم يقتل، لو كان كذلك لعثرنا على جثمانه.

ـ فلماذا لم يظهر؟

ـ لا أحد يعرف، ولكننا سنواصل البحث.

يدفن القتلى من شهداء الوصل وأتباع الزعيم غليص ويسجن أسراه في معسكر قريب من القرية.

يستأنف الأهالي حياتهم شيئاً فشيئاً، إلا أن الجميع لا يزال مندهشاً من اختفاء مراد.

تبكي دباة، ويعتريها الحزن الشديد بينما يقضي فاضل أياماً حزينة.

ـ أين أنت يا مراد؟ أقتلت أم ماذا؟

لهفي عليك يا صاحبي!

يستأنف الشيخ عجلان فتح مجلسه.

الشيخ خالد: ماذا سنفعل بشأن مراد؟

ـ إنني والله محتار في أمره، دباة حزينة عليه، وقد أرسلنا في أثر غليص فأنكر لنا وجوده عنده.

ـ فأين يكون يا ترى؟

ـ أمر محير.

ـ لقد شاهده المقاتلون، وهو يحارب ببسالة رغم ضعفه وقلة خبرته.

ذلك العلم الذي لا يزال مرفرفاً شاهدٌ عليه وعلى شجاعته.

يتدخل أحدهم:

لقد رأيته بأم عيني وهو يقاتل ذلك المحارب الشرس الذي كان يسعى لاختطاف دباة.

يلتفت الشيخ خالد إلى الشيخ عجلان قائلاً:

ألم يكن معه تابعاً تمكّنا من اعتقاله؟

ـ نعم، ولكنه أنكر أنه يعرف شيئاً.

ـ دعونا نستجوبْه مرة أخرى.

يأمر الشيخ عجلان بإحضاره بين يديه على الفور.

ـ اُدنُ مني.

ـ أمرك يا شيخ

ـ اصدقني القول، أين مراد؟

ـ (باضطراب) عمن تتحدث يا شيخ؟ أنا لا أعرفه؟

يسلُّ الشيخ خالد سيفه قائلاً: أنت تعلم عمن نتحدث عنه، إنه الشخص الذي قاتل رئيسك فوق سطح ذلك المنزل المهجور .

يطرق رأسه ويبدو عليه القلق والاضطراب.

الشيخ عجلان: إذا تحدثت بصدق فلك الأمان، أعاهدك على ذلك.

الشيخ خالد: وإن لم تفعل، فسوف أقتلك بهذا السيف الساعة.

ـ تكلم، إن قتلتموه فقل، لك الأمان على كل حال، فإن قُتل فقد قُتل في المعركة ، وأنت ومن معك أسرى وسوف يطلق سراحكم آجلاً أم عاجلاً.

ـ أَليَ الأمانُ حقاً؟

ـ أو تشكُّ في أماني؟

ـ أو تصدقوني؟

ـ أما الأمان فَلَكَ، وأما تصديقُك فَلَنا.

ـ لي شرط؟

ـ وما هو؟

ـ أن تخلوا المجلس؟

ـ لمَ؟

ـ أرجوكم أخلوه.

ـ حسناً، أخلوا المجلس.

يمتثل الجميع لأمر الشيخ عجلان، ليبقى هو والشيخ خالد وفاضل، بينما تقف دباة خلف الباب وهي في قمة قلقها وتلهفها.

الشيخ خالد: تكلم الآن.

يبكي الأسير.

فاضل: لمَ البكاء؟ إذا كنتم قد قتلتموه فَقُلْ ولا تخشَ شيئاً؟

ـ كلا، لم يقتل.

الشيخ خالد: إذاً ماذا؟

(باضطراب وحيرة وقلق) لقد ضرب بالسيف في كتفه.

فاضل: (بصدمة) وقتل!

ـ كلا.

الشيخ خالد: هل سقط مغشياً عليه ثم دفنتموه في مكانٍ ما قبل أن تتحققوا من موته؟

ـ لا!

ـ هل خطفتموه؟

ـ لا.

الشيخ عجلان: بحق من تعبد قلْ لنا ماذا فعلتم به؟

ـ (ببكاء) لم نفعل به شيئاً.

الشيخ خالد بغضب مستطير: إذاً ماذا جرى له ؟ تكلمْ قبل أن أفقد زمام نفسي؟

(بخوف)

ـ لقد اختفى!!

الجميع بذهول: اختفى!!

ـ (ببكاء) نعم، عندما ضربه قائدي بالسيف وانغرس السيف في كتفه صرخ صرخة عظيمة، ثم بدأت أجزاء جسده تختفي عن أنظارنا.

الشيخ خالد: أنت تهذي دون شك.

ـ صدقوني هذا ما حدث، لم أكن أريد أن أقول لكم ما شاهدته بأم عيني، ولكنكم أجبرتموني.

الشيخ عجلان: ما تقوله لا يُعقل.

ـ إنه شيطان يا سيدي، أقسم على ذلك، إنه ليس من البشر.

فاضل: اسكت، لا تقل ذلك.

ـ أو لم يكن عرّافاً يتنبأ بالمستقبل؟

ـ وماذا في ذلك؟

ـ إن لم يكن شيطاناً، فإنه صديق له.

الشيخ خالد: ويحك! لقد جننت دون شك.

ـ لقد رأيته، أقسم بأني شاهدته يختفي بسرعة حتى توارى عن ناظري، هذا ما حدث.

الشيخ عجلان: اسكت قبَّحك الله وقبّح ما تفوَّهت به.

يأمر الشيخ عجلان بإعادته إلى معسكر الاعتقال.

يخرجونه وهو يقول في هياج وشغب.

صدقوني لقد رأيته يختفي، هذه هي الحقيقة.

لا تتحمل دباة سماع كلامه، فتسقط مغشياً عليها، يلحقها والدها وعمها ويضعانها على الفراش ويحضران لها الطبيب.

الشيخ عجلان: ما بها؟

ـ أهي متزوجة؟

ـ يمكنك قول ذلك.

ـ فأين زوجها؟

ـ إنه مفقود.

ـ إنها تعاني من فقدانه.

ـ وما العمل؟

ـ إما أن تتأقلم على الحياة من دونه أو يعود، أو أنها ستموت.

ـ يا إلهي!

ـ سأعطيها مجموعة من المستحضرات لتقوية جسدها.

* * *

يعود فاضل للجلوس في المجلس ليأتيه الشيخ خالد بعد مغادرة الطبيب.

ـما رأيك بما قاله الأسير؟

ـ إنه أمر محير دون شك.

ـ اصدقني القول يا فاضل، هل تعرف شيئاً لا نعرفه عن مراد؟

ـ (باضطراب) كلّا.

ـ أنت صديقه.

ـ هل بدأت بتصديق كلامه؟

ـ بالتأكيد كلامه لا يمكن أن يصدق، وإن بدا لي أنه كان يتكلم بصدق ويقين.

ـ حسناً، وماذا سنفعل الآن؟

ـ وما الذي نستطيع فعله؟

ـحسناً، علي الذهاب الآن.

ـ ولكن ما الذي ستفعله في مقبل الأيام؟

ـ لم أقرر بعد.

ـ على كل حال أنت واحد منّا.

ـ لا أشك في ذلك يا شيخ خالد.

* * *

تستيقظ دباة في جوف الليل.

ـ حمداً لله على سلامتك يا ابنتي.

تستأنف بكاءها.

ـ أين مراد يا أبي؟

يطرق رأسه إلى الأرض.

ـ مراد. هل عدت إلى زمنك بعد أن أديت واجبك في الدفاع عن الوصل؟

يستمع لها والدها باهتمام.

ـدباة. ما الذي تقولينه يابنتي؟

ـ مراد لا شك أنك عدت إلى زمنك، إلى عصرك، قوة مجهولة أرجعتك إليه، وإلا فأنت على عهدك بألا تتركني.

تنهض من فراشها بصعوبة.

أبي، كيف لي أن أعيش من دونه؟

ـ بنيّتي هذا قضاء الله.

ـ مراد لم يمت، صدقني ، لقد عاد إلى العصر الذي جاء منه، أو ربما غادرنا إلى زمن آخر.

ـ بُنيَّتي اهدئي قليلاً.

ـ لقد رحلت يا مراد بعد أن أدّيت مهمتك في الدفاع عن الوصل، وها هي تقف شامخة حرة بعد أن صدّت الغزاة المعتدين.

يحتضنها والدها.

ـ دباة، أكان مراد صادقاً فيما يقول من أن الوصل ستغدو بلداً عامراً؟

ـ نعم، ستكبر لتصبح بلداً مزدهراً وستبلغ بيوتها عنان السماء.

ـ أستكون قريتنا حقاً في يومٍ ما علَماً بين البلدان كما قال مراد؟

ـ أبي، لقد دافع مراد عن الوصل حتى تسير في درب الزمن الحتمي، لتصل إلى قدرها المكتوب لها على صفحات الوجود.

ـ لن ننساه أبداً يابنتي، ولن تنساه الوصل.

يجتمع الشيخ عجلان مع شقيقه الشيخ خالد في صباح اليوم التالي.

ـ في ليلة البارحة سمعت من دباة كلاماً يؤيد ما قاله الأسير.

ـ حقاً؟

ـ إنها تقول: إن مراداً من زمن غير زماننا ، وإنه جاء ليشارك في الدفاع عن الوصل.

ـ وأنا كذلك شعرت بأن فاضلاً يخفي أمراً.

ـ ولكن ما يقولانه لا يمكن أن يُصدق بأي حال.

ـ فأين ذهب إذاً؟

ـ قد يكون غادر الوصل.

ـ ويترك دباة وفاضلاً، ثم لماذا يرحل؟

ـ حقاً لماذا يرحل؟ وهو الذي أحب الوصل وآثر البقاء فيها، وفضلها على المدن والحواضر العامرة.

ـ فلندعُ له بالرحمة أينما كان.

* * *

يبقى فاضل في المنزل وحيداً من دون مراد. يحزّ في نفسه الحزن والبكاء، الألم والبؤس. الهم يعصر قلبه. الغم مسيطر عليه. النوم يجافيه. أشواقه تستعر.

يبكيه بمرارة .

ـأين أنت يا مراد، أين ذهبت؟

على ضوء الشمعة في جوف الليل يتراءى له مراد بابتسامة حانية.

يناديه.

إلا أنه يختفي من أمامه.

ـمراد اظهرْ وخذْني معك أينما كنت.

مراد ، لقد نجت الوصل من احتلال قراصنة الصحراء. مراد، لقد عادت لها شمسها الزاهية وقمرها المنير ونجومها المتلألئة.

تعال يا صاحبي، دباة بانتظارك، وكذلك أهل القرية يتمنون رؤيتك من جديد، تعال أيها العزيز، تعال لتحدثهم عن مستقبل قريتهم الجميلة الحانية، وكيف ستغدو بعد قرون دبي مدينة الأحلام. تعال لتخبرهم بأن هذا الساحل الخالي سيتحول إلى مدن عامرة مزدهرة.

يقهره البكاء والنحيب.

يخرج إلى سطح المنزل. يقف ويغمض عينيه. ما إن يفتحهما حتى يرى مدينة دبي.

ماذا أرى؟ إنها دبي ، هذه هي الأبراج، وتلك هي الشوارع، إنني أسمع بوضوح أبواق السيارت.

ينزل إلى الأسفل بأقصى سرعته، فلا يرى سوى هدوء الوصل.

يعود مسرعاً إلى السطح فتتراءى له دبي مرة أخرى. يشاهد أناساً يمشون. يناديهم بأعلى صوته، ولكن لا يسمعه أو يشعر بوجوده أحد. ينتابه الغبن الممزوج بالغضب والقهر.

حسناً، سأعود إلى زمني، سأجد طريقةً ما لاختراق حاجز الزمن وإن كان في ذلك هلاكي.

* * *

يقرر فاضل الرحيل. يجهّز أمتعته. يتوجه إلى الشيخ عجلان.

ـ أحقاً نويت المغادرة يا فاضل؟

الشيخ خالد: ولكن إلى أين؟

ـ أرض الله واسعة، بعد أن زال الخطر وعادت الأوضاع إلى سابق عهدها، لا بدّ لي من أن أغادر.

الشيخ عجلان: لا أستطيع منعك يا بني، خاصة بعد اختفاء مراد، ولكن أرجوك لا تنسنا، زرنا في أقرب فرصة، وابعث لنا برسائل تطمئننا عنك، إننا لم ولن ننساك لا أنت ولا مراد، فأنتما أصبحتما منا، رغم الفترة القصيرة التي قضيتموها معنا.

ـ وأنا كذلك لن أنساكم أبداً.

ـ منذ أن دخلتما حياتنا يا بني جلبتما معكما شيئاً كنا بحاجته منذ زمن طويل.

ـ (باهتمام) ما هو؟

ـ لم تكونا مجرد شابين عاديين ، كنتما تحملان قلباً حنوناً دافئاً مليئاً بالإباء والعزة، وأن ما بثثتماه في نفوس الأهالي، من شحذٍ للهمم وحب للأرض ومعاني الكرامة والشجاعة، كان له أثر كبير في نفوس الأهالي وثباتهم في القتال أمام مقاتلين أشداء.

ـ (في ألم) لم يكن مراد ينظر إلى الوصل على أنها مجرد قرية تؤويه، بل وطن يضمه.

لقد كان كذلك حقاً، فلقد كنا قبل ظهور مراد نصغّر شأننا، وننظر إلى أنفسنا على أننا مجرد بحارة وصيادين ورعاة إبل ، ولكنّ حديث مراد عن المستقبل جعلنا نتفاءل بأن قريتنا سيكون لها شأن ولو بعد حين ، وأن علينا أن نعمل من أجل ذلك، إن العلَم الذي سارعتما إلى رفعه على الحصن والذي لا يزال خفاقاً، وجدال مراد مع غليص وثقته بنفسه

ـ وبصحة ما يقوله ودفاعه المستميت عن قوله في أن للوصل مستقبلاً مشرقاً، دفع بالأهالي إلى القتال ببسالة والدفاع بقوة وثبات عن أرضهم وأنفسهم.

يعانق فاضل الشيخ عجلان الذي امتلأت عيناه بالدموع.

ـ الأرض تساوي العرض، حكمة عمِلنا بها بفضلكم أيها الطيبون.

ثم يعانق الشيخ خالداً وسرعان ما يزدحم المجلس بالحضور الذين يسلمون على فاضل سلام الوداع.

يسلّم فاضل على الجميع، ويهمّ مغادراً.

تناديه دباة، تدنو منه.

ـ هل ستسافر حقاً يا فاضل؟

ـ بالتأكيد.

ـ هل ستحاول العودة إلى زمنك؟

ـ (بتعجب) دباة!!

ـ (بدموع منهمرة) لقد أخبرني مراد بكل شيء يا فاضل.

ـ حقاً؟

ـ نعم.

ـ دباة، لقد عمل مراد بواجبه، فلو كان في عصره لكان أيضاً سيدافع عن وطنه.

ـ أتعتقد بأنه عاد إلى عصركما؟

ـ لست واثقاً من ذلك.

تنهمر الدموع من فاضل أيضاً.

ـ إذا ما عدت إلى عصرك، فسنكون نحن أمواتاً بالنسبة إليكم، واذا ما رأيت مراداً فأبلغه مني سلام المحبة والشوق والأمل. أخبره بأني أحبه، وسوف يبقى حبه في قلبي إلى الأبد.

ـ دباة، أرجوك، إنك تؤلمينني.

ـ أخبره يا فاضل بأن الحب في القلب، والقلب في الروح، والروح لا تموت، فليتأكد بأن هناك قلباً يحبه في مكانٍ ما من هذا الوجود.

يبكي فاضل بشدة.

ـ فاضل إذا ما قُدّر لك العودة إلى زمنك، تذكرْ أنك في يومٍ ما كنت في قرية اسمها الوصل

ـ قرية أحبك أهلها، وأنك دافعت عنها بكل حب وإخاء.

تهرول دباة إلى داخل المنزل. يمضي فاضل في طريقه باكياً وهي تقول له في قلبها:

الوداع يا فاضل الوداع.

* * *

يبدأ فاضل بالمغادرة، وما إن يبتعد عن الوصل قليلاً حتى يلتفت خلفه، وينظر إليها نظرة المودع.

أيتها الوصل لن أنساك أبداً، ومراد أينما كان سيظل يذكرك إلى الأبد.

يواصل فاضل طريقه بصحبة الدليل. يتجهان نحو الطريق الساحلي بمحاذاة الخور. يمشيان بضع خطوات ثم يقفان.

ـعليك الآن العودة إلى القرية مع الراحلة.

ـ أعود، كيف؟ وأنت؟

ـ سأتدبَّر أمري.

ـ سيدي، لا يمكن، كيف ستحمل الزاد والأمتعة؟

ـ لا عليك، ارجع وحسب، سأكتفي بجرة الماء، وسأنتظر هنا حتى وصول إحدى القوافل.

ـ ولكن لماذا؟

ـ لا عليك، ستأتي قافلة إلى هنا، وسألتحق بها.

ـ أتقصد تلك القافلة القادمة من بلاد النبهانيين؟

ـ نعم.

ـ وإن كان ذلك، من الخطر أن تبقى دون ركاب.

ـ قلت لك لا عليك، سأكون بخير.

ـ سيدي!

ـ اطمئن، لن أبرح الخور حتى ألحق بقافلة أو أعود إلى القرية، فهي ليست بعيدة.

ـ حسناً سيدي، أتمنى لك السلامة.

يتركه الدليل ليبقى بمفرده.

يستلقي على ساحل الخور والحر يضرب الأرجاء. يشرب الماء ليقاومه.

ينظر إلى البحر بحدة، ثم يقف لينظر إلى السماء وبعض السحب العابرة.

سرعان ما تتوتر أعصابه، فيركض ناحية الصحراء بغضب.

هيا يا حاجز الزمن، اظهر لي، آمرك بذلك، اظهر لي عصري، إن كنت قد رميتني في زمن غير زمني وعصر غير عصري، فأنت لم ولن تتمكن من إبعادي عن وطني وأرضي، ستبقى الغربة الحقيقية غربة وطن لا غربة زمن.

هيا أقسمُ عليك بالدماء التي سالت على هذه الأرض دفاعاً عن وطنها إلا ظهرت لي.

يهرول. يركض. يصرخ .غضباً شديداً يخرج من أعماقه.

يستلقي على رمال الصحراء. يتمرغ فيها. يضحك ضحكة مجلجلة ثم يسكن.

ـإرادتي سوف تنتصر، عزيمتي سوف تأخذني إلى حيث أريد، لا إلى ما تريد، هذه المرة لن أخشى الموت، فإما هو وإما الحياة في عصري، إما أن أختفي من هذا العصر كصديقي مراد، وإما أن يراني أهله جثة هامدة.

فجأة. يسمع أبواق السيارات. ينهض فيشاهد أبراج دبي تتجسد أمامه.

ـإنها دبي، إنها دبي.

يلتفت وراءه فيشاهد الوصل.

يتقدم باتجاه دبي، فيصطدم بالحاجز الزمني.

هذه المرة سوف أخترقك، حتى لو حولتني شحناتك الكهربائية إلى جثة متفحمة.

هذه المرة لن أخشى شيئاً.

يحاول فاضل تجاوزه بقوة، إلا أنه يصاب بشحناته الكهربائية.

يسقط على الأرض وهو يلهث. إلا أنه ينهض مجدداً.

ـ سأتجاوزك، سأتخلص من لعنتك، لن تسقطني على الأرض مرة أخرى، بقوة روحي وطاقة ذاتي سوف أتغلب عليك لأعود إلى عصري، إلى تلك الصفحة البيضاء في كتاب الزمن.

يتراجع عدة خطوات، ويستجمع كل قوته استعداداً لاختراق الحاجز الزمني.

ـ بالقوة التي منحتني إياها الوصل، بشجاعة صديقي مراد، بالدماء التي سالت من أجل الوطن، سأنتصر.

يركض بأقصى سرعة ويدخل في الحاجز الزمني.

يصرخ صراخاً مهولاً. يغمض عينيه من هول الشحنات الكهربائية العاتية. قوة شديدة تدفعه إلى الوراء، إلا أنه يتجاوزها وهو مغمض عينيه، ويتقدم بثبات نحو الأمام.

فجأة يعم الهدوء. يفتح عينيه. يجد نفسه في فراغ، في متاهة من المجهول. كل شيء من حوله عبارة عن فراغ. لا شيء يمكنه لمسه. لا شيء يوحي له بأي شيء يعرفه أو يمكنه تصوره. مجرد فراغ يفضي إلى الجنون.

ـ يا إلهي! ما هذا الفراغ الرهيب؟

يسير على غير هدى. يستمر في المشي ساعات دون جدوى.

الصحراء أهون من هذا الفراغ المهول، ففي الصحراء سماء تحوي نجوماً يمكن الاهتداء بها، أما هنا فلا نهار ولا ليل، لا سماء ولا نجوم، هنا مجرد لا شيء.

فجأة تتراءى له الوصل باتجاه يده اليمنى، ثم تتراءى له دبي باتجاه يده اليسرى.

يسير باتجاه الوصل بحذر حتى يصل إلى الحاجز الزمني، فيراه خالياً من شحنات الكهرباء.

ـ كلا لن أعود أبداً.

يعود للسير باتجاه دبي. يسير ساعات طوالاً. ما إن يجد نفسه قد اقترب من الوصول حتى يجد المدينة بعيدة.

يسير ساعات طويلة. تختفي الوصل عن ناظريه تماماً، فلا يرى أمامه سوى دبي.

يبلغ نهاية مسيره. يحاول التقدم أكثر، ولكنه لا يستطيع.

ـ كلا، لن تخدعني، سأعود إلى زمني، سأرجع إلى عصري، لن أخشى شيئاً بعد الآن.

يتراجع خطوات إلى الوراء، ثم يمضي راكضاً بأقصى سرعته.

يتعرض لشحنات كهربائية عاتية. يجد نفسه في دوامة من العدم. يصرخ صراخاً مزلزلاً

.. لا يستطيع المقاومة فيغمى عليه.

* * *

يفتح عينيه فيشاهد رجل شرطة أمامه.

ـ أخيراً استيقظت، حمداً لله على سلامتك.

يحاول النهوض.

ـ لا تبذل أي جهد، سوف تصل سيارة الإسعاف خلال دقائق.

ـ أين أنا؟

ـ لا تخف، أنت في أمان.

ـ أجبني أرجوك، أين أنا؟

ـ أنت في إمارة دبي.

يحملق في الأفق، فيرى أبراج المدينة.

هل نحن في الصحراء؟

إننا قريبون من الطريق السريع.

يستعيد بعضاً من وعيه وتوازنه.

ـ هل وجدتم حطام السيارة؟

ـ أي سيارة؟ استرح ولا ترهق نفسك بكثرة الكلام.

يأتيه أحد الشرطة بالماء. يشربه من فوره، ثم يسترخي.

يسأله الشرطي: يبدو أنك كنت تائهاً في الصحراء، أليس كذلك؟

يُعرض عن الإجابة ويلوذ بالصمت، إلا أنه سرعان ما يلتفت إلى أحدهم.

ـ نحن في أي عام؟

ينظر بعضهم إلى بعض بتعجب.

ـ أرجوكم أخبروني؟

أحدهم:

ـ ألا تعرف حقاً نحن في أي سنة؟

ـ أرجوك أخبرني.

ـ نحن في عام 2020

يصدم من كلامه..

ـ مستحيل!

ـ ما هو المستحيل؟

ـ نحن في أي شهر؟

ـ في شهر أكتوبر.

ـ لا يمكن.

ـ استرح وحسب، سوف يكون كل شيء على ما يرام.

ـ (في نفسه) لقد مكث في الوصل ثمانية أشهر فقط، ولكنها في دبي أربع سنوات، أمر لا يصدق.

تصل سيارة الإسعاف. ينقله المسعفون على عجل إلى المستشفى لتلقي العلاج.

يعطى محلول الجلوكوز، ويكتب له الطبيب أدوية مقوية. ينام كثيراً في بداية أيامه،

ـ إلا أنه سرعان ما يستعيد نشاطه، بيد أن الحزن كان بادياً على محيّاه وآثار الخطوب التي مرَّ بها حفرت في داخله. يعمد إلى الصمت وعدم التحدث مع أحد.

يدخل عليه ضابط التحقيق.

ـ حمداً لله على سلامتك يا سيد فاضل.

يلتفت إليه ببرود قائلاً:

ـ شكراً لك، ولكن كيف عرفت اسمي؟

من بصمة إصبعك.

أنا ضابط في الشرطة؟

جئت أسألك مجموعة من الأسئلة إن لم يكن لديك مانع.

ـ تفضل.

ـ سيد فاضل، أين اختفيت طوال الأربع سنوات الماضية؟

ـ هل أبلِّغُ عن غيابي؟

ـ بالتأكيد، أهلك أبلغوا عن اختفائك ومعرض السيارات أبلغ

عنك أيضاً، وأنت حتى الآن في عداد المفقودين.

ـ ولكن ماذا عن مراد؟

لم نجده.

يصمت، ثم سرعان ما تمتلئ عيناه بالدموع.

يدنو منه ضابط التحقيق.

ـ أين كنت يا فاضل؟ أخبرني حتى أتمكن من مساعدة مراد إن كان على قيد الحياة.

ـ صدقني لا أتذكر شيئاً.

ـ لا تتذكر أين كنت خلال أربع سنوات؟

ـ صدقني، لا أتذكر شيئاً على الإطلاق.

ـ حسناً، حمداً لله على سلامتك على كل حال، تستطيع الخروج حالما يأذن لك الطبيب، ولكن عليك مراجعة الشرطة لإنهاء بعض الإجراءات والبدء بالتحقيقات الرسمية.

ـ هل هذا ضروري؟

ـ بالتأكيد، فأنت مختفٍ منذ أربع سنوات، ومن المفترض أن نعرف أين كنت مختفياً، ليس عليك أية قضايا أو دعاوى، أنت مواطن اختفى في ظروف غامضة ليس إلّا.

ـ أشكركم وإن تذكرت شيئاً فسوف أخبركم على الفور.

ـ أتمنى أن تزول محنتك في أقرب فرصة، وأن تجد صديقك مراداً أيضاً.

ما إن يخرج الضابط من عنده حتى يدخل عليه أفراد أسرته.

ترتمي عليه والدته. يحتضنه والده وإخوته. يزوره أقاربه وأرحامه. يحتفي الجميع بعودته. يسعد بهم وترتسم البسمة على وجهه بالرغم من هول ما قاساه، ورغم فقدانه لصديقه لمراد.

ينظر إليهم بتأمل. يتذكر أهل الوصل بكل ما غمروه به من عطف ومحبة، فتمتلئ عيناه بالدموع وسرعان ما يبكي أمامهم.

أحد أشقائه: فاضل تصبّر، قد يكون مراد بخير.

أحد أقاربه: الذي أنقذك قادر على إنقاذه.

يمسح دموعه.

ـ الأمل بالله لا ينقطع أبداً.

* * *

بعد عدة أيام يخرج من المستشفى. يعود إلى منزله وحياته. يمكث عدة أيام مستقبلاً المهنئين بعودته. يراجع الشرطة وبقية المؤسسات الرسمية لتصحيح وضعه.

تمر عليه الأيام سريعة، بالرغم من تخلصه من محنته، إلا أن معاناته ما تزال في مخيلته وسائدة في ذاته.

ـ ما رأيك أن تعود إلى أمريكا يا بني؟

ـ لا أستطيع يا أبي، وخاصة بعد فقدي لمراد.

ـ حسناً، لقد تقدمت بعرض رسمي للحكومة شارحاً فيه الظروف العصيبة التي مررت بها، وأستطيع أن أبشرك بأنك ستحصل على وظيفة حكومية ستمكنك من إكمال دراستك وأنت هنا.

ـ شكراً لك يا أبي، هذا ما أفكّر فيه تماماً.

تتدخل والدته قائلة: وأنا سأبحث لك عن فتاة تكون لك زوجة.

ينظر إليها باهتمام.

ـ لا يا أمي، لا أريد الآن.

ـ لمَ يا بني؟ سيسارع الزواج في مداواة آلامك وشفاء جراحك.

ـ ليس الآن يا أمي.

ـ كما تشاء.

تدنو منه، وتمسك بيده.

ـأما آن لحزنك يا بني أن ينقضي؟ لقد مرَّ شهر على عودتك لنا سالماً.

ـ كيف له أن ينتهي ومراد لا أعرف عن مصيره شيئاً.

ـ مراد سيتولاه الله برحمته يا ولدي.

تسقط منه بضع دمعات. تحتضنه والدته.

ـ ابكِ يا بني ، ابكِ، لعل البكاء يخفِّف عنك ما مررت به من أهوال.

( في نفسه) لو تعلمين يا أمي ما مرَّ بي؟

* * *

يخرج من منزله. يستقل سيارته التي تمضي به إلى سوق ديرة، ومنه إلى شارع السبخة.

يتأمل الناس والمتسوقين الذين يعج بهم الشارع.

هذا هو شارع السبخة يا مراد، هذا هو شارع الحلم الجميل الذي تعشقه يا عزيزي.

يجلس في وسط الشارع، ويناظر المتسوقين الذين يملؤون أرجاءه.

يتذكر إحدى محاوراته مع مراد.

ـ نحن يا فاضل أسرى الزمن، الموت بكل قوته وجبروته وعظمته لا يمكن أن يقع إلا بالزمن.

ـ ( بدهشة) وكيف ذلك يا مراد؟

ـ لأن الموت مرتبط بالزمن، لأنه يمثل مرحلة في الخط الزمني لكل كائن حي، فإن تمكنت من إيقاف الزمن، فلن تصل إلى مرحلة الموت، ودخلت بذلك في حالة الأبدية.

يقف ويمشي قليلاً. يستأنف تذكُّر بعض محاوراته مع مراد.

ـ نحن أسرى الأبعاد يا فاضل، أينما ذهبنا فإننا نعيش في إطار الطول والعرض والارتفاع والزمن، إنها الأبعاد التي تشكّل أساس الكون.

ـ إذا متنا هل تعتقد بأننا سنتحرر منها؟

ـ لا أظن، أعتقد أن كافة العوالم مكوَّنة على أساسها، فأينما تذهب لا بدّ أن تكون في مكانٍ ما، ولكل مكان زمان وطول وعرض وارتفاع.

ـ إننا لا نرى هذه الأبعاد التي ذكرتها، ولكنها حقيقة مطلقة، لا يمكن لأحد أن يشكك فيها.

ـ إنها كذلك بالفعل.

ـ ولكن قل لي هل لدى علماء الفيزياء تصور للعوالم التي يتكون منها الكون؟

ـ حتماً، إن العديد منهم يعتقدون أن العوالم قريب بعضها جداً من بعض، ولكن ثمة حواجز فيزيائية تفصل بينها، ولكنها متربطة ببوابات، لو تمكنّا من اكتشافها فسوف نتمكن من الانتقال بينها.

ـ هل هذه الآراء تستند إلى حقائق علمية؟

ـ بالتأكيد يا عزيزي، ألا ترى العمارة كيف أنها طوابق متراصّة بعضها فوق بعض؟ في كل طابق شقة أو شقتان أو أكثر، فكيف يمكن الوصول إلى كل طابق منها؟

ـ بواسطة السلالم.

ـ وفي داخل كل شقة غرف، فكيف يمكن الانتقال بينها؟

ـ عن طريق الأبواب.

والعوالم في هذا الكون مثل ذلك.

ـ رائع يا مراد! أنت مذهل حقاً!

ـ حسناً دعنا من إطرائك الآن. ألا تلاحظ أنك عندما تكون في غرفةٍ ما في شقتك لا يمكنك أن تشعر بوجود غرفة أخرى غيرها؟

ـ فعلاً، لو لم أكن أعرف بأن ثمة غرفاً أخرى، لما تمكنت بواسطة حواسي الخمس من معرفة ذلك.

ـ إن هذا المثال الذي ذكرته لك ينطبق على كافة العوالم يا عزيزي.

يبكي فاضل بشدة.

ـ حسرة على فراقك يا مراد.

يا لفجيعتي بفراقك أيها الصديق الذي غابت شمسه عني، وعن كل من يحبونه في زمن الوصل وزمن دبي!!

يجفف دموعه. ينظر إلى المتسوقين. يتراءى له مراد وبصحبته دباة.

ـ مستحيل. مراد ودباة.

يناديهما بأعلى صوته. يلتفت إليه بعض الناس، إلا أنه لا يهتم بهم، ويستمر في النظر بتركيز نحوهما.

يراهما يمشيان في شارع السبخة، فيلحق بهما.

ـ مراد، قف أيها العزيز، قف يا صديقي أرجوك.

يبكي بكاءً مريراً.

يقف مراد ويلتفت إليه بابتسامة حانية، بينما تبقى دباة مديرة ظهرها له.

ـ مراد، صديقي، تعال، لا تدعني وحيداً، إن كنت في زمن الوصل فخذني معك، أريد أن أعود إليه بصحبتك، لقد اشتقت للخور والنوخذة ربيع، اشتقت للشيخ عجلان، وكل الناس الطيبين، أرجوك يا عزيزي لا تدعني وحيداً.

يغرب عنه. يمسك بيد دباة، ويستأنفان سيرهما في شارع السبخة.

يناديهما فاضل بأعلى صوته. يتجمهر الناس من حوله. يحاول بعضهم تهدئته.

يستمر فاضل في نداء مراد، الذي يتابع سيره بصحبة دباة حتى نهاية الشارع ليختفيا عن ناظريه.

يستعيد فاضل رباطة جأشه. ينظر إلى الناس المتجمهرين من حوله بثبات، ثم يمضي عنهم بوقار قائلاً: لا شك أن مراداً قد جاء من المجهول، ليجدد العهد بوطنه الذي أحبه، صحراء وقرية ومدينة وعشقه في كل عصر وزمان.

## المؤلف

**• رائد قاسم**

كاتب وباحث من المملكة العربية السعودية ـ المنطقة الشرقية

**مؤلفاته:**

- موسوعة طغاة من التاريخ، إصدار ورقي، 2018.
- خفافيش المدينة، قصص قصيرة، إصدار ورقي 2015.
- الإمارات معجزة العرب، إصدار ورقي 2009.
- مارد الانتقام، رواية/ إصدار رقمي 2018.
- آراء ثائرة.. في الدين والعلم والحرية، إصدار رقمي 2015.
- صنع الحضارة العربية في القرن الحادي والعشرين، إصدار رقمي 2010.
- طائر العشق المغرد، قصص قصيرة، إصدار رقمي، 2010.
- قصص للسينما، إصدار رقمي، 2009.
- لأنك امرأة، مجموعة قصصية، إصدار رقمي 2006.
- أميرة واللهب، قصص قصيرة، إصدار رقمي، 2003.
- لا شيء، قصص قصيرة، إصدار رقمي، 2001.
- رواد النهضة المدنية في الخليج، 2018.
- الأديان وتعايش الحضارات، 2015.
- قيم الحرية والتعددية في الشرق العربي، 2013.
- الشعوب الخليجية ومرحلة ما بعد النفط،2011.
- دبي والمستقبل العربي، 2008.
- الإرهاب والتعصب عبر التاريخ، 2006.
- الحقوق والحريات في الفقه الإسلامي، 2006.
- ضباب المدينة، مجموعة قصصية، 2002.